المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

الجزء الاول
المجلد الثامن

جمادى الثانية ١٣٧١
مارس ١٩٥٢

٢٠٠

فهرس العدد

الجزء الاول من المجلد الثامن



تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

جمادى الاولى ١٣٧١ — المجلد الثامن
يفري ١٩٥٢ — الجزء الاول

١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة العدد

اليك اللهم ونحمدك والصلاة والسلام على من اصطفيته من خير خلقك ونشكرك على ما هيئت من رحمة شاملة ونعمة سابغة وندبت نخبة لارشاد الخلق لما فيه الفلاح والهمتهم الصبر ليجدوا في الكفاح وامرت المؤمنين بالوحده ونبذ الخلاف ونقمت على المكابرين وحببت اليهم المودة والائتلاف وقلت في محكم الآيات : وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

وبعد فهذه المجلة الزيتونية تعود الى قرائها بعد احتجاب دام سنين عدة فرضته شواغل قاهرة وظروف ليس في الوسع تذليل صعابها كنا نتحفز المرة تلو الاخرى لاصدارها فتقعد بنا تلك الاحوال عن متابعة السير وقد شددنا العزم في هذه المرة على متابعة خطانا السالفة فتوكلنا على الله تعالى في السير بها على اقوم السبل رائدنا نصرة الحق والدعوة لسبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادل عن الحق بالتي هي احسن ونسعى لنشر الآراء الصحيحة بين الناس ونزيف ما علق ببعض النفوس من الاخطاء وما ظن انه من الدين والدين منه براء مجدين في نشر التعاليم الصحيحة والاخلاق الفاضلة غير واجلين ولا مترددين عاملين على تنقية المجتمع من ادران الفساد كاشفين الحقيقة ناصعة للعيان حتى يزول اللبس عن المغرورين وينبلج الصبح لدي عينين .



(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ اعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

بقلم: الامام المحقق المولى محمد الطاهر ابن عاشور

هذه الآية واردة مورد البيان لمعنى التي قبلها وهي قوله تعالى:

(ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

لان اتباع ملة ابراهيم يكون بالعمل والقول، فالعمل هو اقتداء الرسول بها في خاصة نفسه والقول دعاؤه الناس اليها كما هو مقتضى الرسالة ولان ابراهيم دعا الناس الى نبذ الشرك وحاج قومه فيه واذن في الناس بالحج. فلا جرم اشتمل اتباع ملة ابراهيم على حالين احدهما الدعوة الى الله وهو غرض الآية..

وكانت الجملة المقتضية لهذا وهي جملة ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى اخرها منزلة منزلة بدل الاشتمال من جملة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ولذلك فصلت عنها ولم تعطف عليها لوقوعها موقع مفرد يمتنع اقترانه بالعطف.

ومخاطبة الرسول عليه السلام بصيغة الامر بالدعوة الى سبيل ربه في حين هو داع الى الله من قبل دليل على ان صيغة الامر مستعملة في طلب الاستمرار على الدعوة لا يصده عنها شيء على حد قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله. ذلك ان المشركين

لم يغادروا شيئا من شانه تثبيط النبي صلى الله عليه وسلم عن معاودة دعوتهم الى الايمان الا أتوا به من تكذيب وسخرية وتهديد واختلاق وبهتان كما حكيت احوالهم في تضاعيف القرءان وفي هذه السورة من قوله تعالى «ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر» يظنون ان ذلك كله يحجم النبي عن دعوتهم لانهم بجهلهم يجملونـه وازين النفوس العالية على مقياس موازين نفوسهم وقد كفروا بان الرسول مضطلع بالحق الذي ارسله به ربه حتى يبلغ رسالته فلذلك ظنوا ما ياتون به من الخزعبلات مثبطا له . وسبيل الله مجاز لكل عمل من شانه ان ينال به عامله رضى الله تعالى فان الشيء الذي هو سبب لنـوال رضى الله اشبه الطريق الموصل الى المرغوب في انه يعقبه نـواله فاستعير اسم السبيل للسبب واضافته الى اسم الجلالة باعتبار ان الله نبه عليه وامر بالتزامه وفي هذه الاضافة تجريد للاستعارة وبذلك صار علما بالغلبة على كل من دين الاسلام كما في قوله تعالى :

(ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله)

وعلى القتال لتاييد الاسلام كما في قوله تعالى :

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله)

والمراد هنا هو الاسلام بقرينة المقام ولقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين .

والمقصود من امر الرسول باستمراره على الدعوة الى الدين الاسلامي تثبيتـه على ذلك وان لا يؤيسه من اهتداء المشركين ما يراه من افانين بهتانهم واختلاقهم واذاهم للمسلمين وتصلبهم في الشرك .

وحذف مفعول ادع اما لقصد التعميم لان دعوة الاسلام عامة لكل احد فشمل دعوته المشركين الذين هم المقصود الاول من المقام . واما لان الفعل قد نزل منزلة اللازم اي ليكن منك الاستمرار على الدعوة المعهودة لان المقصود الدوام على الدعوة لا تعيين المدعوين لان ذلك امر معلوم من حال الدعوة . واما لان المفعول معلوم بقرينة قوله وجادلهم . والباء في قوله بالحكمة للملابسة اي لتكن دعوتك ملابسة للحكمة والموعظة كما قالوا في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين اي اعرست ملابسا للرفاء والبنين ومعنى الملابسة يقتضى ان لا تخلو الدعوة عن هاتين . فالحكمة : المعرفة المحكمة اي المتقنة اي الصائبة النافعة فلا تطلق الحكمة الا على المعارف الحقة التي لا يتطرقها الخطا ،

والذلك عرفت الحكمة بانها معرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه مما تبلغه الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا تغلط في العلل والاسباب وهي اسم جامع لكل كلام يراعى فيه اصلاح حال الناس واعتقادهم ولها شعب كثيرة والمهم منها في نظر الدين اربعة امور أحدها معرفة الله حق معرفته وهو علم الاعتقاد الصحيح ويسميه قدماء اليونان العلم الالاهي او ما وراء الطبيعة ويعدونه العلم الاعلى من علوم الحكمة النظرية . الثاني : ما يصدر عن علم به كمال الانسان وهو علم الاخلاق وعرفه المتقدمون بانه التخلق بصفات الله بحسب الطاقة البشرية اي بما يليق بحال البشر من معاني صفات الله ؛ الثالث : علم تهذيب العائلة وسماه الاقدمون علم تدبير المنزل وهو داخل في احكام معاشرة الاهل في الشريعة ؛ الرابع تهذيب الامة وصلاح شئونها وسمي علم السياسة المدنية وهو علم تدبير المدينة وهو مندرج في احكام الامامة . ودعوة الاسلام اصولا وفروعا لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة .

واما الموعظة فهي القول الحق الذى يلين نفس المقول له فيقلع عن عمل الشر او يقدم على عمل الخير ، وفي حديث العرباض بن سارية « وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون »

وبهذا يظهر ان الموعظة اخص من الحكمة لان الموعظة لا تكون الا حكمة اذ يحصل بها اصلاح الموعوظ . قال تعالى : ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمه ، بعد ان ذكر أوامر ونواهي في قوله : وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، الايات من سورة الاسراء وكلها موعظة ، ومعنى وصف الموعظة بالحسنة ان تكون متصفة بالحسن في نوعها فان تفاضل افراد النوع يتفاضل احتوائها على الصفاة المقصودة من نوعها . ووصف الموعظة بالحسنة دون وصف الحكمة بذلك لان الموعظة لما كان غالب المقصود منها ردع النفس عن الاعمال السيئة كانت مظنة لصدور اغلاظ من الواعظ وحصول انكسار في خاطر الموعوظ فامر الله بان يتوخى فيها ان تكون حسنة حملا للواعظ على إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير ولذلك لم تعر آية وعيد في القرءان عن ان تحف بآية بشاره وقد قال تعالى لموسى وهارون

(اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يذكر اويخشى)

وليس المراد ان الحكمة لا تكون حسنة فقد علمت ان الموعظة من

انواع الحكمة وقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي واذا قد كانت دعوة الاسلام يتلقاها المنصفون فيلوح لهم الحق فيؤمنون به ويتلقاها المتكبرون فيغلب عليهم التصلب فيما دون ويجادلون جدال المتعنتين وكان ذلك من شانه ان يغضب الرسول اعضب الله امر رسوله بالدعوة الى سبيله بان امره بالمجادلة الحسنة بقوله : وجادلهم بالتي هي احسن فضمير جادلهم عائد على المشركين بقرينة المقام لظهور أن المسلمين لا يجادلون رسولهم فان الامر بالمجادلة ليس امرا بايجادها ولكنه امر بان تكون حسنة فالمقصود من هذا الامر وصف المامور به وهذا سر تغيير الاسلوب اذ لم يعطف اسم المجادلة على اسمي الحكمة والموعظة ولكن جيء بامر المجادلة عقب الامر بالدعوة استكمالا لاداب ذيول الدعوة وتوابعها .

فقد كان المشركون يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم قصدا للافحام والتعجيز كما اشار الله بقوله تعالى

(وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون)

وقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني) فمن ذلك قولهم ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . وكما روي انه لما نزل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال عبد الله بن الزبعري لاخصمن محمدا ثم جاءه بعد ذلك فقال يا محمد قد عبد عيسى وعبدت الملائكة فهل هم حصب لجهنم فارشده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى :

(ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) (١)

والمجادلة والجدال والجدل المراجعة بالقول في امر او راي . للاقناع بالرجوع عنه الى ما يطلبه المجادل واذ قد كانت المجادلة المذكورة هنا من ذيول الدعوة كانت لا محالة متلبسة بالحكمة والموعظة اذ لا يعدو جدال النبيء اياهم عن هديهم الى طريق الحق وانما يكون ذلك بالحكمة والموعظة .

والباء في بالتي هي احسن متعلقة بجادلهم والتى صفة لمحذوف يعلم من المقام اذ التقدير بالمجادلة التى هي احسن . واسم التفضيل في قوله بالتى هي احسن يجوز ان

(١) اخرجه ابو داود في كتاب الناسخ والمنسوخ وابن المنذر وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس

يكون غير مراد منه التفضيل على مجادلة أخرى بل المراد منه المبالغة في كونها حسنة فيكون مطلوب المفاضلة كقوله (رب السجن احب الى مما يدعونني اليه) اي محبوب الي دون ما يدعونني اليه . ويجوز ان يكون معناه التفضيل على ما يجادل به المشركون النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان فيه خلط بين حسن وفضاضة فهذا الوليد بن المغيرة لما قرا عليه النبيء صلى الله عليه وسلم بعضا من القرءان وقال له هل ترى بما اقول باسا قال: لا والدماء. وهذا عبد الله بن ابي يقول للنبيء صلى الله عليه وسلم ايها المرء ان كان ما تقول حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه اياه ومن لم يأتك فلا تغته ولا تاته في مجلسه بما يكره منه فامر النبيء ان يجادلهم المجادلة التي هي احسن من مجادلتهم ونظير هذه الاية قوله تعالى :

(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم)

ويدخل في التي هي احسن مقابلة جدالهم الفظ بجدال غير صريح في الغلظة مثل قوله: وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ، وقوله ، وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ، او بما هو احسن من ذلك من لين القول كما في قوله تعالى في جواب اهل الكتاب ، وقولوا ءامنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والاهنا والاهكم واحد ونحن له مسلمون ، ،

وقد اشار بعض علمائنا الى ان هذه الآية جمعت الاقيسة المحقة من الصناعات الخمس المذكورة في علم المنطق وهي: البرهان والخطابة والجدل دون السفسطة والشعر لانهما لا يليقان باقامة الناس على الحق فما نحصر الاستدلال

الحق في البرهان والخطابة والجدل ولذلك سمى حكماء الاسلام الصناعة الثالثة جدلا محاكاة المعنى في لغة اليونان . فالى الحكمة يرجع البرهان لانه يتالف من المقدمات اليقينية والى الموعظة ترجع الخطابة لانها تتالف من المقدمات المظنية لاستنادها الى غالب الاحوال وكفى بالغالب موعظة للمتعظ كقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وقد كان في الجاهلية يسمى نكاح المقت فاجري هذا الوصف عليه في القرءان مبالغة في تحريمه وذلك استدلال خطابي فهو موعظة وهو ايضا موافق للحكمة .

قال الفخر ان الدعوة الى المذهب لا بد ان تكون مبنية على حجة والمقصود من ذكر الحجة اما تقرير ذلك المذهب في قلوب السامعين واما الزام الخصم وافحامه .
اما القسم الاول فينقسم الى قسمين لان تلك الحجة اما ان تكون حجة يقينية مبراة من احتمال النقيض واما ان لا تكون كذلك بل تكون مفيدة ظنا ظاهرا فظهر انحصار الحجج في الاقسام الثلاثة اولها الحجة المفيدة علما يقينيا وهو المسمى بالحكمة وثانيها الامارات الظنية وهي الموعظة الحسنة وثالثها الدلائل التي القصد منها افحام الخصم وذلك هو الجدل وهو على قسمين لانه اما ان يكون مركبا من مقدمات مسلمة عند الجمهور وهو الجدل الواقع على الوجه الاحسن واما ان يكون مركبا من مقدمات باطلة يحاول قائلها ترويجها على المستمعين بالحيل الباطلة وهذا لا يليق باهل الفضل.
انتهى كلامه وهو يشير الى ان الجدل الباطل يكون بالمقدمات السفسطائية او المقدمات الشعرية وقال في آخر كلامه «واعلم ان هذه المباحث تدل على انه تعالى ادرج في هذه الآية هذه الاسرار العالية الشريفة مع ان اكثر الخلق كانوا عنها غافلين» وينبغي ان يحمل كلامه على ان هذه التقسيمات منضوية تحت طرف الدعوة المذكورة في الآية انضواء على وجه التداخل بحيث ان كل قسم من الاقسام الثلاثة لا يخلو عن كونه مندرجا في احد طرق الدعوة وليس مراده ان كل طريق في الآية هو قسيم للطريق الآخر كما هو مراد المنطقيين لان تلك الحجج المذكورة في المنطق بعضها قسيم لبعض فالنسبة بينها التباين . وطرق الدعوة بعضها اخص وبعضها اعم فالنسبة بينها العموم والخصوص المطلق او الوجهي وتفصيله يفضي بنا الى تطويل . فذهنك في تفكيكه غير كليل

فهذه الآية قد اشتملت على اعجاز علمي بهذا الاعتبار وهو صنف من اعجاز القرءان كنا بيناه في مقدمات التفسير فمن سمعه فليكن من اهل التذكر والتذكير وبينا بعضه في مقالة المعجزات الخفية المنشورة في مجلة الهداية الاسلامية

والتخلق بالآية هو ان كل من يقوم مقاما من مقامات الرسول عليه الصلاة والسلام في ارشاد المسلمين يجب ان يكون سالكا طرائقها الثلاث والا كان منصرفا عن الآداب الاسلامية وان يخشى ان يعرض مصالح الامة للتلف وكذلك كان شأن السلف في اقامة عقائد الامة واخلاقها فاصلاح الامة يتطلب ابلاغ الحق اليها بالحكمة والموعظة

اختتام الحديث الشريف

ختم الحديث الذي القاه المنعم الشيخ محمد بن القاضي في جامع جمودة باشا عام ١٣٤٢

باب الحذر من الغضب والفواحش

لقوله تعالى :(و الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذاما غضبوا هم يغفرون و الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيض و العافين عن الناس والله يحب المحسنين)

حدثنا عبد الله بن يوسف اخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب »

قال حجة الاسلام الغزالي : الغضب شعلة نار مستكنة في طي الفؤاد . استكان الجمر تحت الرماد . يستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد . استخراج الحجر النار من الحديد . ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد وحيث كان الحسد والحقد والغضب . مما يسوق العبد لمواطن العطب . وكان القصد الشرعي من وضع الشريعة اخراج المكلف عن داعية هواه . وهدايته لما به سعادته في دينه ودنياه . تتابعت الآيات والاحاديث في التحذير منها ليتنبه اولو الالباب . ومن ذلك ما تلاه ورواه الامام البخاري رضي الله عنه في هذا الباب

استدل للحذر من الغضب اولا بآيتين كريمتين اولهما قوله تبارك وتعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) قال جمهور اهل التفسير كبائر الاثم ما رتب عليه الوعيد او ما يوجب الحد او كل ما نهى الله عنه والفواحش ما فحش وعظم قبحه منها . وقيل المراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات وبالفواحش ما يتعلق بالقوة الشهوانية . وبقوله . واذا ما غضبوا هم يغفرون . ما يتعلق بالقوة الغضبية .

وقال الفخر الرازي نقل صاحب الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كبير الاثم هو الشرك وهو عندي بعيد لان شرط الايمان مذكور اولا في صدر الآية وهو قوله جل اسمه (وما عند الله خير وابقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون) وهو يغني عن عدم الشرك وقد اجاب في روح المعاني بانه لا تكرار بين قوله (وما عند الله خير وابقى للذين ءامنوا) وقوله (والذين يجتنبون كبائر الاثم) ان اريد بكبير الاثم الشرك لان المراد الاستمرار والدوام . واجاب في روح البيان بان ذكر الايمان اولا لا يغني لانه بالايمان لا يحصل الاجتناب عن مطلق الشرك الشامل للجلي والخفي بل عن الجلي فقط وقد اطلق عليه السلام الشرك على الرياء حيث قال : اتقوا الشرك الاصغر فالقول ما قاله ترجمان القرءان رضي الله عنه .

قلت الجواب الاول بمرتبة من الضعف لا تدفع البعد كما لا يخفى واما الجواب الثاني فربما يقال عليه انه انما يتم اذا كان مراد ابن عباس من الشرك الشرك الخفي . ويقال في جوابه ان جمع الكبائر باعتبار عدد انواع الشرك . وعليه فلا اشكال كما هو بين

قال في كشف الاسرار : اضاف الكبائر الى الاثم لان ذنب الصغيرة مغفور اذا اجتنبت الكبيرة كما قال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) قال الفخر الرازي روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وهذا القول ضعيف لوجوه الحجة الاولى . هذه الآية فان الذنوب لو كانت باسرها كبائر لم يصح الفصل بين ما يكفر باجتناب الكبائر و بين الكبائر . الحجة الثانية قوله تعالى (وكل صغير وكبير مستطر) وقوله (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) . الحجة الثالثة ان الرسول عليه الصلاة والسلام نص على ذنوب باعيانها انها كبائر كقوله (الكبائر : الاشراك بالله ؛ واليمين الغموس؛ وعقوق الوالدين، وقتل النفس) وذلك يدل على ان من الذنوب ما ليس بالكبائر الحجة الرابعة . قوله تعالى (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذا صريح في أن المنهيات اقسام ثلاثة : اولها الكفر وثانيها الفسوق وثالثها العصيان

فلا بد من فرق بين الفسوق وبين العصيان ليصح العطف وما ذاك الا لما ذكرنا من الفرق بين الصغائر والكبائر . فالكبائر هي الفسوق والصغائر هي العصيان واستدل ابن عباس بوجهين احدهما كثرة نعم من عصي والثاني اجلال من عصي فان اعتبرنا الاول فنعم الله غير متناهية كما قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وان اعتبرنا الثاني فهو اجل الموجودات واعظمها وعلى التقديرين وجب ان يكون عصيانه في غاية الكبر فثبت أن كل ذنب كبيرة والجواب من وجهين : الاول كما انه تعالى اجل الموجودات واشرفها كذلك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين وكل ذلك يوجب خفة الذنب . والثاني هب ان الذنوب كلها كبيرة من حيث انها ذنوب ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت .

قلت ليس معنى قول حبر الامة : كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة ان الذنوب كلها كبائر متساوية في الاثم حتى تقوم عليه تلك الادلة التي قررناها وانما مراده انها بالنسبة لعظمة من عصي بها لا يطلق عليها صغائر كما هو صريح دليله فلا وجه لردهما . ويؤيد هذا ما قرره شهاب الدين القرافي في الفرق التاسع والعشرين بعد المائتين حيث قال : قد منع من اطلاق لفظ صغيرة على شيء من معاصي الله تعالى امام الحرمين وجماعة من العلماء . وقالوا لا يقال في شيء من معاصي الله صغيرة بل جميع المعاصي كبائر لعظمة الله تعالى . وقال غيرهم يجوز ذلك . واتفق الجميع على ان المعاصي تختلف في العدالة وانه ليس كل معصية يسقط بها العدل عن مرتبة العدالة فالخلاف حينئذ انما هو في الاطلاق فقط . ويدعم هذا ما قرره الحافظ ابن القيم في مدارج السالكين حيث قال: الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر بنص القرءان والسنة واجماع السلف واما ما يحكى عن ابي اسحاق الاسفرايني من ان الذنوب كلها كبائر وليس فيها صغائر فليس المراد انها متساوية في الاثم بحيث يكون اثم النظر المحرم كاثم الوطء الحرام وانما المراد انها بالنسبة الى عظمة من عصي بها كلها كبائر. وقد اختلف السلف في الكبائر اختلافا لا يرجع الى تباين وتضاد واقوالهم في ذلك متقاربة .

(يتبع)

الفتاوى والاحكام

معالجة المريض بنقل الدم اليه

بقلم صاحب السماحة شيخ الاسلام محمد العزيز جعيط

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وبعد فقد سئلت من قبل وزارة الصحة عن حكم المداواة بتلقيح المريض بالدم سواء أكان دم المريض نفسه او دم غيره وسواء انقل الدم للمريض مباشرة من شخص وهو باق على حالته الطبيعية او نقل له بعد تجفيفه وتصبيره ومزجه بعد ذلك بما يصلح معه للمداواة بالتلقيح. والجواب والله الموفق للصواب ان الدم محرم اكله وشربه بنص القرءان وهو نجس فالمداواة به من وادي المداواة بالمحرم النجس والمداواة بذلك غير مباحة في حالة الاختيار ويتحقق الاختيار اذا وجد في الادوية الطاهرة ما يغني عنه ويقوم مقامه اما في حالة الاضطرار كخوف الهلاك وانعدام الادوية الطاهرة التي تغني عن المداواة بالنجس فالجواز هو الاقوى من حيث القواعد وظواهر الآيات ويكفي في حصول النفع بنقل الدم وفي خوف الهلاك بتركه غلبة الظن وقد اختلفت المذاهب في التداوي بالمحرم فالراجح في المذهب المالكي المنع وللامام مالك قول بالجواز على ما نقله ابو الوليد الباجي في المنتقى والمذهب الحنفي على الاباحة اذا علم الشفاء به ولم يقم غيره مقامه كما في حاشية ابن عابدين صفحة ٢١٦ من الجزء الاول طبع بولاق . والمذهب الشافعي على جواز التداوي بجميع النجاسات للضرورة الا الخمر

شرح لما تضمنته الفتوى

تضمن هذا الجواب ثلاثة مطالب الاول: اباحة نقل الدم من انسان الى ءاخر في حالة الاضطرار كخوف هلاك النفس او العضو . الثاني تقييد الاباحة بما اذا لم يوجد من الادوية الطاهرة ما يغني عن نقل الدم وينفع نفعه . الثالث كفاية غلبة الظن في حصول النفع بنقل الدم وفي خوف الهلاك .

اما الدليل على المطلب الاول فهو ما تقرر في الاصول من ان جميع الاحكام الشرعية لا تعدو ثلاثة انواع، اماأن ترجع الى حفظ الدين او النفس او العقل او المال او النسب وتسمى الضروريات. واماان ترجع الى رفع الحرج والمشقة عن الناس وتسمى الحاجيات. واما ان ترجع الى العادات المستحسنة ومكارم الاخلاق وتسمى التحسينيات. (ومن هذا القسم تناول الخبائث والنجاسات) وان هذه الانواع متفاوتة الرتبة والاهمية فيقدم الاهم على المهم عند التعارض فالرتبة العليا في الاهمية وهي الضروريات تقدم عند التعارض على قسيميها والرتبة الوسطى وهي الحاجيات تقدم عند التعارض على التحسينيات فاذا دار الامر بين المحافظة على النفس التي هي من الضروريات وبين المحافظة على اجتناب الخبائث التي هي من التحسينيات يقدم حفظ النفس على المحافظة على اجتناب الخبائث التى منها الدم فحينئذ يباح التداوي بنقل الدم من انسان الى ءاخر او منه الى نفسه لحفظ حياته من الهلاك.

وهذه الاباحة هي ظاهر القرءان الكريم فقد جاء في سورة البقرة بعد تحريم الميتة والدم وبقية المعطوفات قوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) فدخل تخصيص حرمة تلك الاعيان بحال الضرورة وقال تعلى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه)

والضرورة تتناول التغذي بتلك الاعيان في حال ما اذا الم به الجوع ولم يجد شيئا مباحا يتغذى به وهذا لا خلاف فيه وتتناول طلب البرء اذا لم يجد في الادوية المباحة ما يفيد في العلاج وتعين غير المباح للتداوي وهذا مما اختلف فيه الائمة المجتهدون لادلة خاصة واردة في التداوي وان كان ظاهر الآيات اباحته فمن الادلة الخاصة المبيحة للتداوي بالمحرم حديث العرنيين الوارد في الصحيحين من اباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم شرب ابوال الابل لمداواتهم بها لكن لا يتم الاستدلال الا اذا قلنا بنجاسة ابوالها وهو ما ذهب اليه الحنفية والشافعية اما اذا درجنا على طهارتها وهو ما ذهب اليه المالكية فلا يتم الاستدلال بالحديث.

ومن ادلة الاباحة ترخيص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرير لعبد الرحمان ابن عوف لمكان حكة به لكن لا يتم الاستدلال به الا بطريق القياس لان الحديث انما

يدل على اباحة لبس الحرير المحرم لدفع الاذى فتقاس المداواة على اللبس بجامع دفع الاذى . ومن الادلة الخاصة المانعة حديث ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم لكن قيل في الاستدلال به ان المحرم في حالة الاضطرار بالتداوي يكون حلالا غير محرم .

ومن أدلة المنع حديث ابي الدرداء ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام. ولكن تكلم في هذا الحديث من جهة ان في رواته اسماعيل ابن عياش وهو ضعيف واذا قيل بتوثيقه فيما يرويه عن الشاميين كما في هذا الحديث فيمكن حمل الحديث على حالة الاختيار بأن يكون هناك دواء من الطاهرات يقوم مقامه ليجمع بينه وبين احاديث الاباحة .

وقد تبين مما سقناه ان الادلة المانعة الواردة في التداوي بالمحرم لا يقوى الاستناد اليها لما يلحقها من احتمالات يسقط معها الاستدلال بها وأن الاقوى التعويل على ظاهر ما ورد في الآيات القرءانية من الاباحة حالة الاضطرار للتغذي او التداوي وحمل الاضطرار على المدلول العرفي المتبادر الى الافهام .

وهذا هو المناسب لما اختصت به الملة الحنيفية السمحة من وضع الاصر عنا وارادة اليسر بنا ودفع الحرج واي إصر وحرج وعسر اشد على النفس ممن تحفز الهلاك للوثوب عليه ويرى وسيلة النجاة بين يديه ثم يذاد عن حضيرتها ويمنع من اقتعاد صهوتها.

وأما دليل المطلب الثاني فهو ان وجود المباح الذي يقوم مقام الدم المحرم في النفع ينفي حالة الاضطرار التي هى محل الترخيص .

وإما دليل المطلب الثالث فهو انا وجدنا الرخص تدور مع الظن وجودا وعدما فاكتفي بغلبة الظن في اباحة الفطر في رمضان والتيمم للصلاة والجمع بين الصلاتين عند ارادة السفر غير أن غلبة الظن التي يكتفى بها يشترط فيها ان تكون مستندة الى دليل كالتجربة واخبار الاطباء .

واذ قد فرغنا من بيان حكم التداوي بالمحرم حالة الاضطرار على ما تقتضيه القواعد وظواهر العمومات فانا نعود الى بيان حكمه في المذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي على ما ورد في كتبها المتمدة التي بها الفتوى .

فاما المذهب الحنفي فجوازه اذا علم الشفاء به لكن قول الطبيب لا يحصل العلم قال شارح الدر في الجزء الاول صفحة ٢١٦ طبع بولاق ما نصه اختلف في التداوي بالمحرم وظاهر المذهب المنع كما في رضاع الكبير ونقل المصنف ثمة وهنا عن الحاوي وقيل يرخص اذا علم فيه الشفاء ولم يعلم دواء اخر كما رخص الخمر للعطشان وعليه الفتوى اه .

وكتب عليه ابن عابدين ي حاشيته عليه: في النهاية عن الذخيرة يجوز ان علم فيه شفاء ولم يعلم دواء آخر واختاره صاحب النهاية في التجنيس لان الحرمة ساقطة عند الاستشفاء كحل الخمر والميتة للعطشان والجائع .

وافاد سيدي عبد الغني النابلسي انه لا يظهر الاختلاف في كلامهم لاتفاقهم على الجواز للضرورة واشتراط صاحب النهاية العلم لا ينافيه اشتراط من بعده الشفاء ولذا قال والذي في شرح الدر ان قوله لا للتداوي محمول على المظنون والا فجوازه باليقيني اتفاقي كما صرح في المصفى اه وقول الاطباء لا يحصل به العلم والظاهر أن التجربة يحصل بها غلبة الظن دون اليقين الا ان يريدوا بالعلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم اه كلام ابن عابدين ببعض اختصار .

قلت حمل العلم هنا على غلبة الظن هو الذي ينبغي الجزم به لان التجربة لا يحصل بها الا غلبة الظن ولا طريق هنا لافادة الاعتقاد بالشفاء غيرها وكيف يصح ان يهمل اعتبار غلبة الظن مع ان غالب الاحكام الشرعية ظنية اما من جهة كون الدليل ظنيا واما من جهة الدلالة كما بسط في اصول الفقه وقد امر الشارع بالقضاء استنادا للبينة او اليمين مع أنهما لا يفيدان الا الظن ومجموع هذه الادلة يفيد القطع باعتبار غلبة الظن

وقول الحنفية قول الطبيب لا يحصل به العلم (اي الظن القوي) محمله مما اعتقد قوله الناشيء عن طريق الاجتهاد والتجربة القاصرة غير المتكررة بكثرة امثلة الناشئة عن تجربته وتجربة غيره من الأطباء التي تكررت كثيرا في ازمنة مختلفة فلا ينبغي ان يحمل كلامهم عليها وينبغي ان تفيد العلم المفسر بغلبة الظن

ومما يزيد هذا إيضاحا ويترك الشبه تتضاءل حوله افتضاحا ان التجربة في المقصود

السالفة قاصرة لا تفيد الاظنا ضعيفا لانها مجهود فردي في نطاق ضيق بخلافها في زمننا فانها اتسع مجالها ونظمت اجراءاتها وتغيرت احوالها فاصبحت تجري على عدد كثير من الحيوانات العجم في ازمنة متكررة ثم على عدد عديد من الآدميين والمرضى في المستشفيات من جمع من الاطباء الماهرين وبعد ذلك يعلن بنتائج التجارب مما يحصل ظنا قويا يكاد يقرب من اليقين

ومن هنا يتبين ضعف ما ذهب اليه بعض الفقهاء ممن يرى منع التداوي بالمحرم من الفرق بين التداوي بالمستخبث وبين اباحة التغذي به في حالة الاضطرار بان التداوي لا يتيقن البرء به فلم يجز ان يستعمل المحظور فيه بخلاف اكل المستخبث وشربه للجوع والعطش ينبغي افادته ونفعه

واما المذهب المالكي فيرى منع التداوي بالدم وغيره من النجاسات في باطن الجسد وحكى صاحب التوضيح وغيره اتفاق المالكية على المنع وانما الخلاف بينهم في استعماله في ظاهر الجسد لكن ذكر ابو الوليد الباجي في المنتقى ان قول مالك في العتبية في التداوي بالمرتد من عظام الميتة مع منعه من الصلاة حتى يغسل يحتمل ثلاثة اوجه احدها انها رواية عنه في التداوي بما لا يحل استعماله الا لضرورة الثاني انه انما اباح من ذلك ما فيه خلاف في نجاسته الثالث ان ذلك في استعماله خارج البدن

واما المذهب الشافعي فيرى جواز التداوي بجميع النجاسات للضرورة الا الخمر حكاه ابن رسلان في شرح السنن وغيره من الشافعية لحديث العرنيين حيث امرهم بالشرب من ابوال الابل للتداوي وقد علمت ما يتعلق بهذا الدليل والله المرشد الى سواء السبيل

الماضي

لامير شعراء الخضراء الاستاذ الشاذلي خزنه دار

يا ثالث الثلاثة . ويا مجمع الكل . ويا هوة الجميع . ما اعمق غورك . وما اوسع فضاءك . ويا ما اشد اتصالنا بك . فنك المبتدى . واليك المنتهى . وفيك الفناء . ان قلنا هل امتلأت . قلت هل من مزيد .

ما اسرع خطاك . وما اطول سيرك . تمشي بك الى الامام . والى الخلف . ما ابعدك منا وما ادناك . وما اعطفنا عليك وما اجفاك . الام هذا الصدود . وفيم هذه القساوه . اما لك من شفقة . اما لك من عودة . فقد امضنا الحنين ولكن لات حين

التشريع الاسلامي

خماسيات

بقلم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي

باسم الله افتتح المقال ثم اعطف بالصلاة والتسليم على سيد الحكماء والمشرعين .

مما لا يعزب على العلم ان الشريعة الاسلامية تكفلت بمصالح الدارين وتضمنت لمن اتبعها سعادة الحياتين وذلك هو غاية ما تصبو اليه النفوس الزكية والعقول الرضية . بل هو المحور الذي تدور عليه فلسفة المتفلسفين وحكمة الحكماء والمعلمين من اول ما خلق الله الانسان الى يوم الناس هذا .

ولما كانت العقول البشرية مهما بلغت من الصفاء والجودة والذكاء والفطنة والعلم الواسع والادراك الثاقب لاجرم انها محل ضعف ونقص وفتور وهي لا محالة بحيث يعتريها الخلل والجهل والاضطراب وتختلف بها الاهواء والميول باختلاف العصور والازمان بل باختلاف المدارك والظروف والاحوال كانت لابد محتاجة الى اصول اولية وقواعد اساسية واركان ثابتة تحفظ على هذا الخلق — ان هم راعوها واهتدوا بهديها وساروا على ضوءها — الحالة المعتدلة والطريقة المثلى والصراط السوي الذي يبلغهم ما يصبون اليه من السعادة والسلام والامن والاطمئنان فكان من لطف المبدع الحكيم الخالق لهذا الكون . الواسع علمه . الحكيم صنعه . الذي لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السموات . المحيط بكل جليل وحقير مما هو كائن او يكون . الرؤف الرحيم اللطيف الخبير ان وضع للناس هذه الاسس ومهدها لهم تمهيدا وامدهم بها في فترات مختلفة على حسب حاجتهم وعلى قدر تطور الزمان بهم على السنة رسله الذين اختارهم لتبليغ هاتيكم الاصول لمن اراد تبليغها اليهم من عموم الخلق او خصوصه الى ان تهيأ المجتمع الانساني تهيأ استعد به لتلقي عامة تلك الاصول والمبادىء الكاملة الراقية الصحيحة الوافية بجميع

المصالح والكافلة لحفظ عامة المنافع والمباغي لما هي ما اريد من الخلق والمحققة لجميع انواع السعادات الدنيوية والاخروية . حينئذامده بها كاملة غير منقوصة شاملة وافية بجميع المصالح محققة لما كانت تصبو اليه العقول البشرية منذ ازمان . محققة للسعادة المحبوبة والضالة المنشودة على لسان خاتم الرسل وافضل الخلق على الاطلاق فاستحق بحق ان يلقب بمنقذ الانسانية الاعظم ودليلها الارشد على صراط الله الاقوم

ولذا كانت شريعته خاتمة الشرائع حيث جاءت وافية بجميع الاصول والمباديء التي يصح ان تكون بحق اس كل خير وفلاح لهذا المجتمع البشري . فجاءت ماسة كل ناحية من نواحي الحياة العامة والخاصة محددة لما يجب ان يكون عليه الفرد مع نفسه ومع غيره من بني جنسه او مع سائر ما خلق له كما حددت له انواع العلاقات التي ينبغي ان يرتبط بها مع خالقه على الصورة التي ترضي خالقه .

ثم انها تجاوزت ذلك كله فحددت لرضا الخالق تعالى حدودا اوسع مما يظن بها فجعلتها منوطة بسيرة الانسان العامة ووقوفه عند تلك الحدود التي رسمت له سواء فيما يتعلق بالعلاقات التي تربطه بالخالق مباشرة او بالعلاقات التي تربطه بسائر مخلوقات الله تعالى ؛ فكان لزاما علينا ان نحصي تلك الاصول ونحفظها وندرسها درسا عميقا شاملا وان نعنى بها كامل العناية ليسهل العمل بها والانتفاع بنتائجها وءاثارها .

ولا شك ان مما يسهل علينا فهمها واحسان تنزيلها على منازلها ويؤهلنا لامكان استخراج فروعها الكثيرة وتطبيق كلياتها على جزئياتها التي لا تنحصر ضبط الكيفية التي وردت عليها والاحوال التي لابستها حين تنزيلها والظروف التي حفت بورودها من مصدرها الاول والادوار التي مرت بها منذ نشاتها الى اليوم وهذا ما يمكن ان نصطلح على تسميته بتاريخ التشريع الاسلامي ويمكننا ان نقسم الادوار التي مرت بتاريخ التشريع الاسلامي الى خمسة ادوار باعتبار الاحوال والظروف التي مرت بها الشريعة من مبدا تكوينها الى اليوم وذلك حاصل بالنظر الى الحالة التي وردت عليها الشريعة من مصدرها الاول ثم بالنظر في كيفية تدرجها في سلم النشوء والارتقاء على القاعدة التي يسير عليها كل موجود يبتدا صغيرا ثم ياخذ

في القوة والعظمة الى ان تكتمل قواها وتبرز كاملا قويا تام الخلقة وهذا هو دور التكوين والاكتمال ثم يعقبه دور النضوج والاستواء ، ثم تتمشى معها في ادوار توسعها وانتشارها وظهور كامل قواها حيث المسلمون في قوة صولتهم واتساع رقعتهم وتمسكهم باهدابها لا يحيدون عنها وعن اصولها قيد انملة وهو الدور الذي انتشر فيه فقهاء الاسلام ومجتهدوا الملة يستنبطون ويلحقون ويستخرجون من تلكم الاصول ما يلتحق بها من الجزئيات الكثيرة و يقررون لكل قضية حكما على ضوء تلك الاصول وبطريق الرد اليها عملا بقوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاية . . . .) ويمكننا ان نصطلح على تسمية هذا الدور بدور العظمة والانتشار ، ثم يجيء دور الركود والسكون او بالاحرى دور الانحطاط والجمود و الوقوف عن التقدم في السبيل الذي سلكه سلف هذه الامة والاكتفاء بالقدر الذي استنبطوه واستخرجوا له حكما وحفظه وضبطه والاشتغال به وحده كان الزمان وقف دورته والحوادث الكونية بلغت منتهاها والعقل البشري انتهى الى منتهاه فلم تكن بنا حاجة ماسة الى الرجوع الى تلك الاصول لنستخرج ونستنبط منها ونقيس عليها ونستفرغ الوسع في العلم بها .

ولما كانت الاصول محدودة في الشريعة والقضايا والحوادث الجزئية غير محدودة لانها تتعدد وتختلف باختلاف الاحوال والصور والابتكارات والحاجيات كان الاجتهاد بمعنى استنباط احكام لمختلف القضايا الجزئية العارضة للمجتمع البشري امر لا مناص منه . نعم ينبغي ان يكون بالرد الى تلك الاصول و بالاستفادة منها على نفس الكيفية التي اجمع سلف الامة على اتباعها في طرق الرد وبنفس تلك الطرق الواضحة وعلى نفس تلك المسالك المسلوكة .

وفي ظني ان الطريقة المثلى التي يجب علينا اليوم ان نسلكها بشريعتنا لنخرج بها من هذا الركود والجمود المنعوتة به والذي استمر بها من اول القرن الخامس الى اليوم والذي يعود جرمه علينا لا عليها فهي بريئة ونحن المذنبون ان نكتفي بما استنبطه المستنبطون من الايمة الذين وقع الاجماع على كمال اهليتهم لذلك فيما نجد لهم رايا فيه من الحوادث والقضايا على ان نختار من بين اقوالهم في ذلك ما هو اوفق بمصالح الوقت والحال ثم نخدم الشريعة على نحو ما خدموها به فيما لا نجد لهم رايا فيه على شرط ان يكون عملا جمعيا لا فرديا . وبذلك تبقى الشريعة مسايرة للزمان ويتحقق فيها معنى كونها صالحة لكل زمان ومكان كما جاء ذلك عن ايمتنا الاعلام

ويمكننا ان نسمي هذا الدور المتوقع ان شاء الله تعالى بدور التجديد او بدور التحرك والحياة .

الايمان والاسلام

لامير شعراء الخضراء الاستاذ الشاذلي خزنه دار

اثران جليلان . اولهما (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحبه لنفسه) وثانيهما (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) . .

من امعن النظر جيدا فيما يتضمن هذان الاثران . وعلم علم اليقين ما يحتويان عليه من حكمة بالغة . وارشاد الاهي . يتضح امامه جليا ما يتطلبه الخالق سبحانه . من عبده المهتدي الذي يندرج حقا تحت هاتين الصفتين اللازمتين شرعا لكل متبع للدين الحق . وما هما الا (الايمان والاسلام) فجعل سبحانه المحبة بين المؤمنين خاصة من حيث انها كالايمان مناطها القلب واشترط فيها المماثلة في المقدار بين الاخوين المؤمنين فلا يشوبها خداع ولا يعترضها دجل . فهما الذات الواحدة فلا يتصور ان يخاتل المرء نفسه او يغالطها . والايمان هو الرابطة الوحيدة للمحبة بين الجانبين . فاذا وقع الخدش في احد الطرفين تسرب الى الآخر فانخرم الهيكل المقصود من تشييده بالمحبة الصادقة . فمن اولها زوال الايمان . فالعدوان والبغضاء حينئذ . بين المؤمنين من اشد المناكر . والله جل جلاله يريدنا ان نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

واما الاثر الثاني المرتكزة عليه دعامة هذا الدين السمح . (هو الاسلام) وما يتطلبه هذا الاسم الشريف من عمل في الحقل البشري الجامع لسائر المخلوقات وان لا يصح الاتصاف به الا لمن سلمت الناس من يده ولسانه . فالمسلم الحق من ابتعد عن الشر . وسعى للخير . وعمل للصلاح . ودعا للسلم . وهذا هو الصراط المستقيم . صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وعلى ذلك يمكننا ان نحصر الادوار التي يمر بها في تاريخ التشريع الاسلامي في ادوار خمسة :

١) الدور الاول : دور التكوين والاكتمال في العهد النبوي يتضمن بيان مجمل لادوار الخمسة

٢) الدور الثاني : دور النضوج . عهد الصحابة والتابعين

٣) الدور الثالث : دور العظمة والانتشار في عهد مشاهير الايمة الفقهاء

٤) الدور الرابع : دور الركود عهد التقليد المحض

٥) الدور الخامس : دور التجديد وهو المنتظر

محمد الهادي ابن القاضي

الحق يعلو

بقلم المرحوم امير الامراء علي عبد الوهاب

قرات بغاية الاعتناء الاعداد الاولى من مجلة « الفتح » فهالني ما رايت من شذوذ بل مروق بعض من النابغة ونبذهم للتعاليم العالية الاسلامية وظهر لي ان السبب في هذا التطور المشوم والماسوف عليه هو تشبعهم بالافكار الافرنجية التي دست لهم في المدة المدرسية فصاروا لا يحترمون الا ما نسب لاروبا ولا يرون حياة ولا سعادة الا في الاقتداء بها كامل الاقتداء حتى في الزي والاوضاع

وغمت او كادت ان تعم هذه البلوى كافة الاقطار الاسلامية الا مارحم ربي

وكنا قبلا نظن ان هذا الداء العضال لم يتسرب لافكار المنتسبين للدين والذين كنا نعتقدهم حماة الشريعة السمحة ووزراءها حتى وافتنا الجرائد حاملة لفصول حاوية لاراء لم يتظاهر بها لحد الان الا الشبان الذين قضوا شبابهم بعواصم اوروبا وزاولوا العلوم العصرية بمدارسها ومما يسلينا عن ذلك المصاب العظيم هو علمنا بعزم « الفتح » على محاولة استرجاع الشاردين المغرورين وفتح قلوبهم للانوار المحمدية ولذا رايت من الواجب المتحتم بذل الجهد ـ جهد المقل ـ لاعضاد « الفتح ».

وحيث اتحقق افراط اعجاب هؤلاء الضالين بكل ما يقوله او يحرره الافرنجي فقد احببت الاتيان بنبذة يسيرة مما سطره المستشرقون من الاوروبيين في خصوص الدين الاسلامي ومن جاء به صلى الله عليه وسلم

قال الاستاذ هوداس مدرس العربية بكلية اللغات الشرقية الحية بباريس :

« قد احاط القرءان بكل العلوم المتعلقة بالدين والشرائع ومكارم الاخلاق « التي يمكن للعقل البشري بلوغها . »

وتحت عنوان « محمد والقرءان » الف مسيو جان سبيرو المستشرق السويسري الشهير رسالة طويلة الذيل ذكر في خاتمتها ما هو ءات :

« وها انا اقف هنا وقد كنت اود اطالة الكلام « على هذه السور ـ سور القرءان العجيبة» وان اظهر اكثر مما فعلت تلك الكنوز الموجودة

بالقرءان ولكن لم يتسن لي الا الاتيان ببعض نبذ فقط ومن ضيق المجال اضطررت الى العدول عن السور المدنية الطوال التي ما زالت الى يومنا هذا اساسا لعقيدة المسلمين ودعامة لحياتهم السياسية والمدنية والاجتماعية ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله

واعتبر اني قد بلغت مقصودي بهذه العجالة في التعريف بحياة النبيء «صلى الله عليه وسلم» وبعض ما حواه القرءان اذا اقنعت قراءي الكرام بان محمدا كان مخلصا وان القرءان جدير بان يهتم به رجال الجد .

وقال مسيو القريدكلير المترجم الاول بالجيش الفرنساوي بافريقيا في تعاليق له على كتاب «الاسلام» للحكيم بيرون :

ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - عندما يذكر قدرة وعظمة الحضرة المقدسة الالاهية يفوه بعبارات بلغت في اللغة العربية غاية الفخامة

وتاييدا لقولي هذا ساكتفي بسرد مثالين فقط من كتاب الله « قال سبحانه وتعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)

« وقال جل جلاله (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم .)

والحق اقول اني لم اعثر اثناء مطالعتي للانجيل على ما يحاكي هاتين الآيتين عظمة وجلالا »

وفي تاليفه الموسوم « بالقرءان » قال مسيو سطانلي لانبول الإنقليزي : اما في الواقع فان القرءان ليس بالطويل الممل وانه لا يخلو من الترتيب ولا من حسن التنسيق مثلما يدعيه بعضهم اما من حيث عدد اياته فانه لا يبلغ ثلثي ايات العهد الجديد (١) وان اخرجت منه قصص انبياء بني اسرائيل فانه لا يتجاوز حجم الانجيل واعمال الحواريين

وهذا الكتاب - اي القرءان - محشو لا اقول باعادات غير مفيدة الا يتحتم

---

١) العهد الجديد عبارة عن التوراة والانجيل والزبور . وهذا العهد هو الذي يعتمده البروتستانت

نسخة فريدة من كتاب مجهول(١)

بقلم العلامة الشيخ الاستاذ الفاضل ابن عاشور

هذا المخطوط الذي يتمثل فيه تاريخ طويل ومراحل عديدة من حياة الجدل المذهبي في الفقه الاسلامي هو مع ذلك ليس كتابا كاملا ولكنه قطعة من كتاب يسمى كما كتب في ءاخر النسخة : « الاعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب اهل الراي والقياس . »

وهو اسم يدل على ما تثبته يقينا دراسة القطعة التي بين ايدينا من كونه كتابا موضوعا لاثبات المذهب الذي يرى ان القياس ليس اصلا من اصول التشريع الاسلامي ولبيان الفساد والخلل الذين يدعيهما اصحاب هذا القول على المذاهب المبنية على اعمال القياس

الترديد عند الوعظ أو الارشاد بل كررت به التصريحات المتعلقة بالفرائض الاصلية للدين الاسلامي ووقع الاسهاب في ذلك لبيان كيفية القيام بتلك الواجبات او تطبيقها . »

وزاد المؤلف المذكور في موضع ءاخر فقال : وعليه فانه يمكننا فيما يخص محمد « صلى الله عليه وسلم » ان نترك ما يوجد في القرءان من مواد تتعلق بوقائع جرت في ذلك العهد ونبني حكمنا على هذه المبادي الصالحة لكل الازمنة والتي لا تختص باشخاص ولا بشعوب معينة بل تخص كافة النوع البشري حيثما وجد سواء اكان بجزيرة العرب او بفرنسا او باية بلاد اخرى . ولنختم هذه الاسطر بما قاله الفيلسوف الفرنساوي الشهير ارنيست رونان :

ان رجال التقدم الحقيقيين هم الذين يبنون اعمالهم واقوالهم على احترام الماضي :
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب

---

(١) نص المحاضرة التي القاها العلامة الاستاذ الفاضل ابن عاشور في اجتماع لجنة البحوث الاسلامية للغة العربية وءادابها لمؤتمر المستشرقين الثاني والعشرين في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٠

فيكون حينئذ كتابا موضوعا لتدعيم مذهب الظاهرية والرد على مخالفيهم فان جميع الفروع الفقهية التي اوردها مذهب الكتاب انباتا لقوله لهـا اوردا على مخالفيه فيها هي من فروع مذهب الظاهرية كما يتحقق ذلك بالرجوع الى كـتب الخلاف ومطالعة ديوان الظاهرية الاكبر وهو كتاب المحلى لابن حزم(٢)وتبتديء القطعة المتحدث عنها من كتاب الاعراب عن الحيرة والالتباس ببقية فصل يتعلق بالاحتجاج بالحديث المرسل ينتصب فيه المؤلف لمناقشة القائلين بصحة الاستدلال بالحديث المرسل

ويستعرض مثلا من الفروع الفقهية زاعما انهم استدلوا لبعضها بالحديث المرسل ونبذوا البعض الآخر على رد احاديث مرسلة ويبين ان الحـديث المـرسل يكون على درجات متفاوتة فيدعي ان مخالفيه قد يستدلون بالساقط الضعيف منها ويتركـون الجيد الحسن ويختم الفصل بتلخيص رايه في ان المرسل ليس بحجة ابدا وتقـرير ان الذين التزموا كونه حجة عندهم لم يحسنوا طرد هذا الاصل فاحتجوا به مرة وتركوه اخرى ويندد عليهم بان ليس لهم اصل يثبتون عليه انما يحرصون على التقليد ثم شرع في فصل ءاخر عنونه بالفصل السابع خصصه بذكر احاديث منها ما قـال بصحته ومنها ما انكر صحته وزعم ان مخالفيه استـدلوا بها على غير الصـور التي ينبغي ان تحمل عليها وقسم ذلك الى ثلاثة اقسام :

أ ـ احاديث استخرجوا منها عللا بنوا عليها بطريق القيـاس فروعـا في مذاهبهم مع كونهم قائلين في مسائل اخرى بما يخالف ذلك الاصل ويبطل علته

ب ـ أحاديث يستدلون بها في لازم علتها مع كون مذاهبهم مخالفة لحكم المنطوق الثابت بها

ج ـ احاديث تقتضي احكاما عديدة استدلوا بها في بعض تلك الاحـكام مع كونهم مخالفين لمنطوقها في بقية ما تقتضيه وفي اثناء هذه المسالك يحكم على درجة الحديث المبحـوث فيه فيقـول « استدلوا بحديث ثابت » .... ولا حجة لهم فيه او يقول « وهو حديث لا يصح ولو صح لما كانت لهم فيه حجة وقد يشير الى وجه العلة التي يـدعيها في الحديث

---

(٢) نشر الشيخ احمد محمد شاكر مصر ١٣٤٧

وقد ذيل هذا الفصل ببيان ما اسماه « تخاليط ومناقضات » فذكر مسائل من اصول الفقه نسب الى مخالفيه الاضطراب فيها بقولهم كل مرة بما يناقض قولهم فيها مرة اخرى فعدد المسائل الاتية

صيغة العموم : يحملونها على عمومها في مسائل ويخصصونها في مسائل اخرى

صيغة الامر : يحملونها مرة على الوجوب ومرة على الكراهة او الندب

دليل الخطاب (المفهوم) : ياخذون به مرة ويتركونه اخرى

النسخ : ياخذون فيه مرة بالناسخ ومرة بالمنسوخ

وختم الفصل بما اورده المخالفون من الاخبار المتواترة وانكر هو فيه التواتر وافاض في التعليق على حديث « ادرؤوا الحدود بالشبهات » الذي ادعى اهل المذهب المخالف كونه متواترا مدعيا عليهم التناقض في الاخذ به حيث دراوا مرة ولم يدراوا اخرى فكان الفصل عبارة عن مناظرة لمذاهب القائلين بالقياس في استمداد الاحكام من نصوص السنة وادعاء سوء الحمل او مناقضة الاصل او عدم صحة النص او اعتباره بغير صفته الحقيقية

ثم عقد الفصل الثالث في بيان اعتماد اهل القياس على اقوال الصحابة مخالفة للقرءان والسنة

فابتدا بمناقشتهم في اصل القول بحجية قول الصحابي وجعل مرجع ذالك الى ادعاء ان ما قاله الصحابي في المسالة المحتج لها لا يمكن ان يقوله برايه بل هو راجع الى توقيف واطرد في سرد الامثال من المسائل التي اخذوا فيها بقول الصحابي والمسائل التي لم ياخذوا فيها به ملتزما في الغالب ان يكون القول الذي تركوه لنفس الصحابي الذي اخذوا بقوله وقد استوعب المثل في هذا الفصل استيعابا ازدهى به في اخره حيث قال : « لا نعلم لهم قصة موهوا فيها بما ذكرنا من قولهم مثل هذا لا يقال بالراي الا قد ذكرناها . »

وفي الفصل التاسع انتصب لبيان اقوال للصحابة استشهد بها المخالفون على وجه غير صحيح لانها لا تقتضي مرادهم في نظر المؤلف ومسلكه في هذا الفصل عين مسلكه في الفصل السابع بالنسبة للاحاديث النبوية وتكلم في الفصل العاشر على مسائل

من الفقه ذكر ان القائلين بها يدعون ان دليلهم عليها اجماع الصحابة مع كون الخلاف فيها موجودا ويقابل كل مسالة بمسالة يثبت فيها اجماع الصحابة مع كون المستدلين بذلك الاجماع في المسألة الاولى مخالفين لمقتضاه في هذه المسالة

وختم الجزء بالفصل الحادي عشر الذي عقده المؤلف لبيان استدلال بعض اهل المذاهب على صحة اقوال ايمتهم بكون الاجماع قد انعقد عليها وتشنيعهم على مخالفيهم بان مخالفتهم في ذلك شذوذ عن الاجماع مع كون الاجماع لم ينعقد على ذلك فيما يراه المؤلف بدليل ما يثبته من اقوال علماء السلف المخالفة لما ذهبوا اليه ويقابل ذلك كما فعل في الفصل قبله بذكر مسائل يدعي صحة انعقاد الاجماع عليها مع كون اهل المذاهب الذين يناظرهم قد جاءت اقوالهم فيها مخالفة للاجماع الذي لا يعرف له خلاف من قبل الاخلاف غير مشهور او غير صحيح وقد ذيل هذا الفصل بمبحث عنونه بتنبيه . . تعرض فيه الى ما وقع لاهل القياس من الاضطراب في استنتاج اقوالهم التي خالفوا فيها الجمهور وذلك بذكر مسائل اعملوا فيها القياس مع ان قياسا مساويا للذي اعملوه او اظهر منه يقتضي خلاف ما اقتضاه القياس الذي اعملوه او لذكر صور لم يعملوا فيها القياس مع مساواتها للصور التي اعملوه فيها

وبانتهاء هذا المبحث ختم الجزء الاول من الكتاب وبه انتهت القطعة المتحدث عنها وقد كتب في اخرها : (هنا تم الجزء الاول من كتاب الاعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب اهل الراي والقياس ويتلوه ان شاء الله تعالى ذكر طرف يسير من شنع اقوالهم في الدين لم يتعلقوا فيها بقرءان ولا سنة)

فعلى هذا تكون القطعة التي بين ايدينا مقصورة على بعض المسائل التي هي محل خلاف بين الظاهرية وغيرهم بما يدل على ان مناقشة تلك المذاهب قد ابتدات قبل القطعة التي بين ايدينا واستمرت بعدها كما تنص عليه فقرة التعقيب

والمناقشات الدائرة خلال هذه القطعة وان كان سياقها شاملا لعموم المخالفين للظاهرية في المسائل التي جرى البحث فيها الا انها في تقرير الحجاج ومادة المسائل كان النظر فيها متجها بصفة خاصة الى الفقهاء المقلدين مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه

وإذا كانت هذه المناقشات قد شملت مسائل كثيرة من اصول الخلاف بين الظاهرية والحنفية فان المقدار الذي لا يوجد عندنا من الكتاب يتوقع فيه ان يشتمل على مناقشات في مسائل اخرى من المسائل الاصلية التي هي محل خلاف بين المذهبين مثل مسالة تاويل ظواهر النصوص ومسالة التخصيص بالقياس والنسخ به ومسالة الاحتجاج بالموقوف ومسالة الاستحسان التي يظهر انها هي المقصودة بالعنوان الذي يبتديء به الجزء الموالي ومسالة شرع من قبلنا

على ان المسالة الاصلية التي هي ركن الخلاف وجوهر موضوع الكتاب وهي مسالة القياس لم تبحث في هذه القطعة بحثا اصليا يتعلق باصل الاستدلال بالقياس ومراتبه والمسائل الفرعية التي اختلف فيها المذهب الحنفي مع المذهب الظاهري بسبب اعمال القياس فمن القريب جدا ان تكون هذه المباحث ايضا قد تقدم بعضها وكلها في ما هو سابق للقطعة التي عندنا من الكتاب وتكون هذه القطعة حينئذ قد اشتملت على بعض المسائل التي يتناظر فيها الظاهرية مع الحنفية وان بعضها تقدم وبعضها الآخر يتبع

ومن هنا ينشا سؤال وهو هل كان هذا الكتاب مخصوصا بالرد على الحنفية او انه تناول مذاهب اخرى بالمناقشة

والذي يظهر من مذهب مؤلفه انه كما يختلف مع الحنفية يختلف مع مذاهب اخرى ولا سيما المذهب المالكي الذي يأخذ عليه الظاهرية اخذ تشنيع عنيف اعتماده على عمل اهل المدينة وعلى المصالح المرسلة وعلى سد الذرائع بله المسائل الكثيرة التي يشترك فيها المالكية مع الحنفية واهمها في خلاف الظاهرية القول بالقياس

على ان في اسم الكتاب الذي رسم في آخر النسخة ما يدل على انه وضع لمناقضة مذاهب لامذهب واحد

وان تعرض المؤلف لغير الحنفية بالتهكم والاستخفاف في اثناء البحث يدل على انه يضمر لهم مثل ما يضمر للمذهب الحنفي

وبهذا يظهر ان المقدار الذي حجب عنا من الكتاب يكون مشتملا على ردود

على المذاهب التي تقول بالقياس كلها وخصوصا المذاهب الثلاثة التي اشتهرت بذلك وانتشرت قبل ظهور مذهب الظاهرية اعني الحنفي والمالكي والشافعي

ومن المنتظر ان يكون حظ المذهبين الحنفي والمالكي من هذه الردود اوفر من حظ المذهب الشافعي لسعة الخلاف بين الاولين وبين الظاهرية في الاصول والفروع ولكون المذهب الشافعي لا يكاد يختلف مع الظاهرية الا في اصل القول بالقياس وقد كان داود مؤسس مذهب الظاهرية شافعيا وكان كثير من اتباعه ـ مثل ابن حزم ـ شافعية ايضا قبل ان ينقلبوا الى الظاهرية

ويتلخص من هذا كله ان هذا الكتاب انما وضع تاليفه على الابتداء بالتشنيع على اتباع المجتهدين (لانه كثيرا ما يذكر في اثناء المباحث التي في نسختنا ما ينص فيه باللائمة على الذين لا يرجعون الى ظواهر الكتاب والسنة ويعكفون على تقليد اقوال المجتهدين ويجعل ذلك هو السبب في الوقوع بهم في ما وقعوا فيه من الاصول المردودة)

ثم ببيان ان اصل الخروج عن ظاهر الاصلين انما كان للتعلق بالقياس وبيان بطلان القياس وسقوط الاستدلال به في الدين

ثم ياخذ هذه المذاهب مذهبا مذهبا فيبتديء بالمذهب الحنفي يناقشه في الاستدلال بالموقوف والمرسل وهو المبحث الذي تبتديء به القطعة التي بين ايدينا وبعد الفراغ من المباحث التي اسلفنا تلخيصها يستمر في ابتداء الجزء الموالي لهذه القطعة بالرد على قولهم بالاستحسان وهو ما عناه بقوله : « ثم لم يتعلقوا فيها بقرءان ولا سنة » . وبذلك يطوي بساط المناقشة مع المذهب الحنفي ويتوجه الى المذهب المالكي فيناقشه في جميع ما ناقش فيه المذهب الحنفي من قبل ويعقد فصولا خاصة يحتفل لها احتفالا زائدا لمناقشة الاصول التي انفرد بها المالكية ثم يميل الى المذهب الشافعي بفصل يبين فيه ما لحقه من الاضطراب ومخالفة النص والاجماع بسبب اعمال القياس وينتهي بذلك الجزء الثاني الذي ينتهي به الكتاب جملة

والكتاب محرر بطريقة جدلية خطابية فيها شدة العنف وسورة الحدة

فالمؤلف يتحرى اشد العبارات واقساهـا في الدلالة على معـاني التخطئة حتى يدخل في باب الشتم الفاحش .

وهو حريص كل الحرص على ان يظهر لقارئيه ان مخالفيه ليسوا غـافلين عن الادلة ولا غالطين في تنزيلها ولكنهم متعمدون القول بما يعلمون انه باطل تعصبا لمذاهبهم ويعين طائفة من الفقهاء المشهورين بعلم الحديث فيبالغ في التشنيع عليهم لادعائه ان ما وسع غيرهم من العذر بالجهل لا يسعهم ويميز من بين هؤلاء الامام الحنفي الشهير ابا جعفر الطحاوي فيحرق الارم على اعراضه عن مذهب الظاهر وتقليده لمذهب من مذاهب القياس

ويصرح باعجابه بسعة علم الطحاوي اعجابا يجعله اكثر الفقهاء الحنفية وغيرهم ورد ذكر في الكتاب

ولعل معرفة مؤلف هذا الكتاب ومقارنته باثاره وظروف حياته تزيد هـذه المعاني اتضاحا

فالنسخة التي بين ايدينا لم تشتمل على اسم المؤلـف ولكن فصول الكتـاب يشتمل كثيرا على تكنيته نفسه عند صدر كل بيان بقوله (قال ابو محمد) على الطريقة الشائعة في القرنين الرابع والخامس

فمن هو ابو محمد هذا ؟

اليس قد عرفنا من تحليل الكتاب انه ظاهري المذهب

ونزيد الآن انه يقول بانكار القياس انكارا مطلقـا اي ان القيـاس بجميع مراتبه وعلى اختلاف صوره باختلاف مسالك العلة لا يصلح دليلا للاحكام الشرعية ويصرح بهذا تصريحا واضحا مقصودا يسد به باب تعليل الاحكام سدا كليا اذ يقول :

« فان قالوا فلاي شيء نهى النبيء صلى الله عليه وسلم عن اغتسـال الجنب في الماء الدائم قلنا لان الله اوحى اليه بذلك قال تعالى او ما ينطـق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا يسال مسلم ربه لم امرت بهذا قال تعلى لا يسال عما يفعل نهى عن ذلك كما نهى عن الخنزير والدم ليبلوكم ايكم احسن عمـلا وليجزي المطيع بالجنة والعاصي بما هو اهله ولا مزيد . »

في اللغة

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد المستيري

يمتاز الانسان عن سائر المخلوقات بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعلم باللغة واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان (١) وهو تادية المعاني التى تقوم بالنفس وتختلج بين جوانحها على وجه يكون اقرب الى القبول وادعى الى التاثير

وما من شك ان للغة العربية في هذا الميدان شاوا بعيدا ومدى واسعا لا يطاول مما مكن لها الانتشار في اصقاع الدنيا منذ حملها اهلها الى الامم في فتوحات صدر الاسلام بدون ان يلزموهم بتعلمها فتلقتها تلك الامم وحفظتها واتقنتها

وهذا الانكار القاطع للقياس لم يكن شان الظاهرية جميعا فقد كان امامهم داود بن علي الاصفهاني ينكر الاقيسة ولكنه لم يصرح بانكار القياس جملة حتى تردد علماء الاصول في اعتباره منكرا للقياس (١) واثبت السبكي في طبقات الشافعية (٢) استنادا الى وثائق قوية ان داود لا ينكر القياس وانه مصرح باعتبار التعليل في الاحكام وان الذي تغالى في ذلك من اتباعه حتى نفى القياس مطلقا انما هو ابن حزم وعلى ذلك تقرر في مبحث الاحتجاج بالقياس من علم اصول الفقه ان مذهب ابن حزم يختلف في هذه المسالة عن مذهب امامه داود فابن حزم ينكر القياس مطلقا وداود ينكر ما عدا القياس الجلي (٣)

ولما كان الكتاب الذي هو موضوع بحثنا لقائل بابطال القياس مطلقا كما صرحت بذلك العبارة المنقولة عنه آنفا وما تكرر من امثالها فانه يظهر من ذلك ان ينسب هذا الكتاب لابن حزم لانه انفرد بالمذهب الذي بني الكتاب عليه وصرح بمذهبه هذا في كتابه المحلى (يتبع)

---

١) انظر كلام القرافي في تنقيح الفصول ص ١٥٥ ج ٢ ط . تونسي بحاشية ابن عاشور

٢» ص ٤٦ ج ٢ ط . مصر

٣» انظر شرح المحلي على جمع الجوامع ص ١٧٢ ج ٢ ط بولاقها مشي حاشية البناني -

فلا بدع ان صارت من اكبر العوامل للاتحاد بين الناطقين بها بل جعلت منهم وحدة متماسكة نبت عنها معاول الهدامين والمقوضين

ذلك ان احد الكاتبين بتونس اذا ما اراد بحث اي موضوع يريده فما عليه الا ان يتناول بحثه على المنهاج العربي الذي يختاره فلا يكاد ينتهي منه ليدرج في نشرة دورية حتى يتلقفه العربي بالمشرق ويتفهم معناه وتتجلى له مغازيه ومراميه وكذلك الشان فيما يكتبه الشرقي او ينظمه بالنسبة لاخيه التونسي

بيد اننا نشفق كثيرا من حدوث اخداش في جسم هذه الوحدة المنيعة بما يقع فيه المنشؤون عندنا من الاخطاء في مداول بعض المفردات اللغوية او في نفس الاساليب التركيبية

والعجيب في الامر انه بمجرد صدور خطا ما من بعضهم سرعان ما يتلقفه الباقون ويتداولونه ويشيع بينهم

فاذا ما اورد علينا سائل قولهم : « خطا مشهور خير من صواب مهجور » فلا نرى جوابا له الا اثباتنا ما قاله العالم المصري المعاصر السيد على راتب في مقدمة كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني المتوفي سنة ٣٥١ هـ مطبعة دار الكتب المصرية قال ما نصه :

فان همنا بمعالجة هذا الخطب (يقصد به ما يقع فيه الادباء من الاخطاء) فلا يثبطن من همتنا قول المستكينين « خطا مشهور خير من صواب مهجور » فبالله اذا جاء بعدنا جيل فقرا تلك الكلمات المستعملة في غير وجهها هل كان له غير المعاجم مرجعا لفهمها وهناك يجد معنى مباينا لمراد الكاتب فيغلق عليه الفهم

ولا يستصغرن احدنا شان النطق صوابا فما هو ذا اثره اننا اصبحنا ولا نفهم كلام اخواننا الشاميين والمغاربة كلامه

يقصد الكاتب من هذا ان الاستمرار على اقتراف الاخطاء المنتشرة في اللغة العربية سيفضي بنا (لا قدر الله) الى حدوث لهجات خاصة بكل اقليم عربي شانها في ذلك شان اللغات العامية المنتشرة في البلاد الاسلامية العربية اليوم

لذا رأينا من الواجب العلمي التعرض لهذه الاخطاء مع بيان وجه تصحيحها

فمن ذلك قولهم اعتذر فلان عن الحضور بمعنى انه لم يحضر وابدى عذره

والصواب ان يقال اعتذر من عدم الحضور لان المعتذر عنه انما هو عدم الحضور لا الحضور ثم ان فعل اعتذر يتعدى بمن لا عن يقول الشاعر العربي

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيل

ويقولون ان هذا النبا مثلا قد قطع جهيزة كل قائل وكانهم يفهمون من جهيزة معنى الصوت او النبرات او القول وكل ذلك خطا والصواب ان يقال « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وجهيزة اسم امراة والكلام مثل ومورد المثل ما قاله صاحب القاموس ونصه « وجهيزة امراة رعناء واجتمع قوم يخطبون في الصلح بين حيين في دم كي يرضوا بالدية فبينما هم كذلك قالت جهيزة ظفر بالقاتل ولي للمقتول فقتله فقالوا قطعت جهيزة قول كل خطيب اه

ويقولون جاءت الاخبار تنعي وفاة فلان ويكسرون العين من تنعي وفي تركيبهم هذا خطا مزدوج اما الاول ففي جعلهم نعى من باب ضرب لكسرهم العين من تنعي والصواب انه من باب قطع اي بفتح عين الفعل في الماضي والمضارع وعليه فالمضارع تنعى على زنة تنهى والخطا الثاني هو قولهم تنعي وفاة فلان حيث ان مادة النعي تدل باصلها على الاخبار بالوفاة فلا معنى لذكر الموت قال في القاموس : نعاه له نعيا ونعيا بتضعيف الياء وكسر العين ونعيانا بالضم اخبره بموته

قال شارحه مرتضى ص ٣٧٣ ج ١٠

«ظاهر هذا السياق كما للجوهري ايضا انه من حد نصر على ما يقتضيه اصطلاحه عند عدم ذكر المضارع والصواب انه من حد سعى ففي المحكم نعاه ينعاه نعيا ونعيانا اه ثم قال بعد شارحا قوله « والنعي كغني » يكون مصدرا كما تقدم يقال جاء نعي فلان اي نعيه ويكون بمعنى « الناعي » وهو الذي ياتي بخبر الموت قال الشاعر

قام النعي فاسمعا ونعى الكريم الاروعا

ويقولون سمي فلان عاملا على بلد كذا ويقصدون انه ولي واطلاق التسمية على الولاية غير معروف في العربية قال في القاموس واسم الشيء علامته وقال ابن سيدة اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز ونقله عنه في القاموس ثم قال صاحب القاموس « وسماه فلانا وبه » قال شارحه مرتضى : اي جعله اسما له وعلما عليه قال سيبويه والاصل الباء لانه كقولك عرفته بهذه العلامة واوضحته بها اه

وقد بذلت جهودا في مراجعة دواوين اللغة وموسوعاتها لعلي اجد وجهـا لتصحيح هذا الاطلاق فلم اظفر بذلك وعليه فالصواب ان يقال ولي فلان عامـلا على بلد كذا او عين او ما شاكل ذلك

ويقولون استبدل القديم بالجديد ويقصدون انه ترك القـديم واخذ مـكانه الجديد وهو خطا ولئن شاع كثيرا حتى عند كبار الكاتبين والادباء ذلك ان مادة استبدل وتبدل وبدل تدل على جعل شيء في موضـوع ءاخر بـدلا منه والبـاء تقرن بالمبدل منه اي المتروك لا البدل اي الماخوذ قال تعالى : « اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير » الاية ٦١ من البقرة وقال جل من قائل :

« ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » الآية ١٠٨ من البقرة ايضا

وقال تعالى ايضا في الاية الثانية من سورة النساء « وءاتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » قال ابن جزي - اي لا تاكلوا اموالهم وهو الخبيث وتدعوا مالكم وهو الطيب اه كلامه فقد اتضح ان مدخول الباء هو المتروك

ويقولون صرح لسان حال الوزارة الخارجيـة بكـذا وقالت جريدة كـذا لسان حال الحزب الفلاني وهو خطا لان المصرح في الواقع هو ناطـق لسان وزارة الخارجية لا انها امارات ودلائل لاحت على وزارة الخارجية فشبهناها بالنطق بجامع الدلالة على المعنى المفهوم وكذلك في جريدة كذا لسان حال الحزب الفلاني فالتصريح والقول انما وقعا بلسان المقـال لا بلسان الحال وهما متغايران قـال الشاعر العربي

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشـكاية انطق

اي ولئن مدحتك بلسان مقالي فجميع الامارات والملابسات تنـاقض ذلك وتجار بالشكوى بل هي اقوى في الدلالة على ذلك من مدحي الحاصل بالقـول وهو معنى قوله انطق

وبعد فسنواصل بحثنا حول اخطـاء اخرى مما سنفصـل القـول فيه على صفحات هذه المجلة في المستقبل ان شاء الله

سعيد بن المسيب

بقلم : مدير المجلة

ذكر عبد الملك بن مروان في امر الخلافة بعده واراد جعلها في ابنيه الوليد ثم سليمان من بعده وقبل ان يعلن رأيه ويأخذ البيعة لهما من الخاصة ثم من العامة اراد ان يمهد لذلك فلاح له ان احسن وسيلة يعظم بها منزلة ابنه مصاهرة عالم المدينة وعابدها سعيد بن المسيب فقد جمع الى شرف النسب العلم والزهد والورع

اما العلم فقد كان في الدرجة الاولى في علوم الشريعة مبرزا في الفقه مرجعا في الحديث فهاما لكتاب الله يجلس في مسجد الرسول ويجلس بين يديه طلاب المعرفة يتفقهون عليه ويدرسون آيات القرآن واحاديث الرسول وحج اليه الناس طالبين الرواية عنه من كل بلد، واما الزهد فقد استغنى عن حطام الدنيا بما كفاه ولم تتعلق همته الرفيعة بما ليس له فيه حاجة وزهد فيما في ايدي الناس وما يتفاخرون به فاغناه الله عنهم وقلل حاجته

واما الورع فقد اشتهر به بين الخاصة والعامة فاحبه الناس عموما وعظموا منزلته

واما شرف النسب فهو قرشي من بني مخزوم فلا جرم اذا اختاره داهية العرب ومفخرة ملوك بني امية ووقع عليه اختياره ليصاهره ويخطب ابنته لابنه الذي رشحه للخلافة بعده لعلمه انه سيحصل على موافقته في ولاية العهد واذا رضي بها سعيد فمن الذي لا يرضى لرضاه وهو القدوة ولكن ابن المسيب لم يكن عند ظن عبد الملك ابن مروان فزهد في مصاهرة الخليفة كما زهد في امواله ومضى على سنته في بعده عن دار الامارة وعدم الرضا عن هذا النوع من الحكم الذي يتوصل اليه بحد السيف والذي لم يقم على الشورى التي جعلها الله اساسا للحكم في الاسلام

وكان لسعيد بن المسيب تلميذ يدعى ابا وداعة نكب في اهله فاجتمع عليه مصيبتان فقد الاهل وقلة ذات اليد حضر عند ابي سعيد فقال له هل احدثت امراة غيرها قال له يرحمك الله ومن يرضى بي بعلا لابنته وانا لا املك الا درهمين او ثلاثة فقال له سعيد ان انا فعلت ذلك تفعل ؟ قال له نعم وانقلب حزنه سرورا

وتبدلت وحشته انسا وعظم عليه الامر وازداد اكباره واجلاله لهذا الشيخ الوقور وتحير في امره كيف يقدم مصاهرته ويفضله على ابن الخليفة وهو هو شرفا ومقاما

ولكن ابن المسيب لم يرد ان يتاخر في الامر فحمد الله تعالى بما هو اهله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وزوجها لابي وداعة بما معه من المال

فقام الزوج وفارق المجلس وذهب الى بيته ولما جن الظلام وارخى الليل ستوره جاء سعيد وطرق عليه الباب فقال من هذا فقال سعيد فلم يدر بخلده انه سعيد بن المسيب الذي زوجه ابنته في ذلك اليوم وهو من هو سعيد الذي لم ير منذ اربعين سنة الا في المسجد او في طريقه ما بين بيته والمسجد فقام ابو وداعة وفتح الباب فاذا هو بسعيد بن المسيب فقال له هذا انت يا ابا محمد هلا ارسلت الي فاتيتك وبدا له انه اراد الرجوع فيما فعل

قال له سعيد رايتك رجلا عزبا فكرهت ان تبيت الليلة وحدك وهذه امراتك فدفعها داخل البيت ورد الباب وانصرف . فسقطت من الحياء فاستوثق ابو وداعة من الباب ثم صعد فوق المنزل ونادى الى جيرانه فلبوا دعوته واستفهموه عن الامر الذي دعاهم من اجله فقص عليهم قصته واخبرهم ان الزوجة جاء بها ابوها على غفلة وانها في المنزل فدخلوا عليها وجلسوا معها

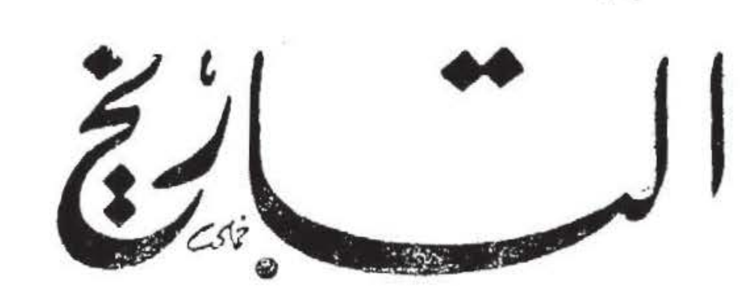
وجاءت والدته فاقسمت عليه ان وجهها من وجهه حرام ان مسها قبل ان تصلحها ثلاثة ايام فمكث ثلاثة ايام ثم دخل بها فاذا هي من اجمل النساء واحسنهن واحفظهن لكتاب الله تعالى واعلمهن بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واعرفهن بحقوق الزوج

ومكث ابو وداعه شهرا لم يتصل بسعيد ولما انقضى الشهر دخل على سعيد وهو جالس في حلقة درسه في مسجد المدينة فسلم عليه فرد عليه التحية ولم يزد على ذلك حتى خرج الناس من المسجد فلم يبق غيرهما قال له سعيد ما حال ذلك الانسان قال له ابو وداعة هو على ما يحب الصديق ويكره العدو

فقال له ان رابك شيء ف . . .

ولكن سعيد لم يسلم من عاقبة ما فعل وناله من عذاب عبد الملك ما ناله فقد دعاه لمبايعة ابنه بولاية العهد فابى فبعث الى عامله بالمدينة وقال له ان اعرضه على السيف فان مضى على رايه الاول فاجلده خمسين جلدة وطف به في اسواق المدينة .

وهكذا تحمل ابو سعيد ما تحمل ولم يكترث بما اصابه ولم ينثن عن رايه الذي يرى انه الحق .



المعاهد الدينية

في القطر الليبي

بقلم المؤرخ الاستاذ عثمان الكعاك

اذا نظرت الى مدينة طرابلس من علو طائرة او من مكان مرتفع بدت لك منازل بيضاء كأنها نحتت من العاج او صبغت من الكافور تعلوها المآذن المستديرة تزاحم النخيل في ارتفاعها والقباب البيضاء الناصعة تحاكي قباب الزيتون المنتشرة في البساتين وهذا هو الطابع العربي الافريقي الجميل الذى تمتاز به جميع المدن الليبية

ومن الواجب ان ندرس هذه الجوامع الرائعة واحوال معمارها وتاريخ انشائها ومايقام بها من دروس على غرار ماجرى به النظام الثقافي في كامل المغرب العربى منذ العصور الاسلامية الاولى

ونحن سنستعرض هذه الجوامع مدينة فمدينة وجامعا فجامعا.

ومن المعلوم لدى الكل ان المملكة الليبية المتحدة تتركب من ثلاثة اقطار هي طرابلس وفزان وبرقة. فحديثنا أولا عن طرابلس

يمتد القطر الطرابلسي على طول البحر من راس آجدير غرب خليج بوكماشي على الحدود التونسية وينتهي الى قرب اجدابية من حدود ولاية برقة ومساحة القطر الطرابلسى وحده تبلغ مليون كم. مربعا اي نحو السبع مرات مساحة القطر التونسي. ويوجد به من السكان نحو المليون. بحيث ان العمران قليل ونسبة السكان من المساحة تكون على حسب التقريب باعتبار ساكن واحد لكل كم. مربع بينما هي بتونس ثلاثون ساكنا للكم المربع. والسبب في ذلك هو ما توالى على القطر الليبى عامة والقطر الطرابلسى خاصة من محن الحروب الطاحنة منذ اربعين سنة.

واذا القينا نظرة تارخية على هذا القطر الشقيق وجدنا انه مر بعصرين عظيمين العصر الجاهلى والعاصر الاسلامي واليك البيان

— ١ — الجاهلية. ينقسم الدور الجاهلي الى العصور الآتية.

آ ـ العصر الحجري ـ يبدأ منذ الخليقة وينتهي في القرن الثلاثين قبل الهجرة تقريبا ـ كان فيه الانسان الاول يسكن المغاور الطبيعية ويرتدي جلود الحيوانات ويأكل من صيد البر والبحر ومن ثمار الاشجار ويتخذ له سلاحا من حجارة كالمدى والخناجر والسهام والحصا الذى يرمى به في المقلاع.

وينقسم العصر الحجري الى عصر حجارة قديمة وعصر حجارة متوسطة وعصر حجارة جديدة ، وبالانتهاء من هذا الدور الاخير يأتي عصر المعادن من برنز وحديد الذي تعلم فيه الانسان الاول الحياكة وتربية الحيوان وزراعة الارض وطحن الحبوب وعصر الزياتين وطبخ الطعام وتعدين المعادن وصناعة الخزف

والعصر الحجري الطرابلسي متأثر بمدنيات ثلاث . العصر الحجري التونسي المعروف بالمدنية الكبسية او القفصية نسبت الى قفصة . والعصر الحجري الصحراوي والعصر الحجري المصري.

٢ ـ العصر البربري الاول ـ يبدا منذ هاجر البربر الاولون من اليمن . وهم قبائل لوبو واليها تنسب البلاد فيقال قديما لوبيا ويقال الآن ليبيا . واشهر هذه القبائل قبيلة هوارت النازلة على طول السواحل الى نهاية الشمال التونسي.

٣ ـ العصر الفينيقي ـ منذ القرن الثامن عشر قبل الهجرة النبوية حينما جاء تجار فينيقيون من فينيقيا التي هي سوريا ولبنان الآن واسسوا مراكز تجارية على طول الساحل الليبي من اشهرها مدينة هويعة وهي عاصمة طرابلس الآن .

٤ ـ العصر الروماني ـ منذ سنة ٢٥ ق. م. الى سنة ٤٠٤ ب. م. حينما استولى الوندال على البلاد يتقدمهم ملكهم الفاتح جنسريف . ومن اشهر المدن الاثرية الموجودة الآن بطرابلس مدينة صبراطه (صبرة) ومدينة لبتيس ماغنا (لبدة) .

وكان عصر الاحتلال الروماني عصر حروب طاحنة لا عصر سلم. وذلك ان قبائل الفرامانت وهم اجداد اهل فزان كانوا لايفتاون يشنون الغارة على الرومانيين حتى اذا فوهم الامرين وقداكتسحهم مرة اولى سنة ١٩ ق. م. الوالي الروماني كورنيليوس باليوس الاصغر واخذ عاصمتهم غاراما عاصمة

فازانيا (فزان الآن) . ثم اعادوا الكرة وشقوا عصا الطاعة مرارا واهمها على عهد القيصر وشباصيانوس سنة ٦٩ ب . م . فجرد عليهم القائد والبريوس فستوس فلم ينل من سيالتهم كبير طائل .

وفي عهد الانطونيين قياصرة رومة نالت البلاد طعم السلم نوعا ما وازداد خصبها وعمرانها . وعلى عهد الامبرطور نيرفا اسست الجادة الكبرى بين قابس ومدينة لبدة البتيس ماغنا وهي المعروفة بطريق الماس (او الثغور الطرابلسية) وازدانت مدينة هويعة (طرابلس) بالمعالم الفاخرة الرائعة وكذلك مدينتا صبراطة ولبتيس ماغنا . فقد كثرت بجميعها المباني العامة الشاهقة الفنية والتماثيل القيصرية . وانتشر في البلاد حب الاداب والفنون والعلوم على طريقة اليونانيين والرومانيين وبلغت طرابلس عصرها الذهبي ابان الرومانيين على عهد القيصر سبتيموس سافاروس الذي هو طرابلسي صميم اذ قد ولد سنة ١٤٦ بمدينة لبتيس ما غنا من عائلة ماجدة .

وفي اخر القرن الرابع ب . م . رجعت القلاقل والاضطرابات وكثرت الثورات والانتقاضات واذن نجم الرومانيين بالافول . وقد انتهى حكمهم فعلا سنة ٤٥٥ ب . م .

٥ ـ العصر الوندالي ـ الوندال من الشعوب البربارية الجرمانية التي زحفت على اوروبا من الشرق ولما اراد والي افريقيا الكونت بونيفاس ان ينتقم من الحكومة الامبراطورية الرومانية اذ جردت عليه جيوشا لاخذ الثار منه استنجد بجنسريق ملك الوندال الذي كان يومئذ باسبانيا فاحتل البلاد الافريقية ومن ضمنها طرابلس سنة ٤٥٥

٦ ـ عصر البيزنطيين ـ ولم يدم حكم الوندال كثيرا لان بالزار البيزنطي استرجع البلاد سنة ٥٣٤ فعادت لحكم الروم وتبعية بيزنطة او القسطنطينية الى ان فتحها العرب بعد ذلك بقليل

ب ـ العهد الاسلامي ـ فتح عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة ٢٣ هـ وينقسم العهد الاسلامي الى العصور الآتية :

١ ـ عصر الولاة ـ من سنة ٢٣ هـ الى سنة ١٨٤ هـ فقد تعاقب الولاة على طرابلس من مصر أولا ومن القيروان ثانيا

٢ ـ العصر الاغلبي ـ ١٨٤ ـ ٢٩٦ كانت طرابلس في هذا العصر نزوعة الى الاستقلال مائلة الى الحكم الذاتي اذ قد ثقل عليها تنازع الورنجوميين والرستميين من البربر والاغالبة من العرب وفي هذا العصر الاول ظهرت قيمة طرابلس من حيث الثقافة فقد كانت الزعامة المالكية للعالم الطرابلسي الكبير علي بن زياد دفين تونس رضي الله عنه والمتوفى في اواخر القرن الثاني كما كان فقهاء برقة يمتازون بطبقاتهم الخاصة المعروفة بطبقات البرقيين غير المصريين وغير الافريقيين

٣ ـ العصر الفاطمي ـ ٢٩٦ ـ ٣٦٥ توحد المغرب وتكونت الامبراطورية الفاطمية من طنجة الا العراق فكانت طرابلس من اهم اجزاء هذه الامبراطورية

٤ ـ الاستقلال على عهد صنهاجة ٣٦٥ ـ ٥٥٥ في هذا العصر تولت بعض الاسر المالكة الحكم بطرابلس واستقلت عن الدولة الصنهاجية الزيرية القائمة بالقيروان والمهدية وزحف الاعراب الهلاليون على القطر الطرابلسي برا والنرمان بحرا لكن الطرابلسيين الصناديد انتصروا على النرمانيين واطردوهم من بلادهم

٥ ـ العصر الحفصي ـ ٥٥٥ ـ ٩٩٩ هـ .

هو عصر استقلال قام ها ملوك طرابلس ولكن الحفصيين كانوا يسترجعون البلاد احيانا ويرجع للطرابلسيين الفضل في احياء التعليم بجامع الزيتونة في ذلك العصر الموحدي . فان العالم الكبير عبد الحميد بن ابى الدنيا الطرابلسي هو الذي بعث هذا التعليم من مرقده .

٦ ـ العصر التركي ـ وفي القرن العاشر استولى الاسبانيون على طرابلس لكن سرعان ما اطردهم منها درغوث باشا وصارت طرابلس ولاية مندمجة في الخلافة العثمانية . لكن القارمانليين كونوا هناك دولة شبيهة بالمستقلة .

٧ ـ العصر الاخير ـ قد انتهى ببشرى الاستقلال التام وبدأ بفاجعة الاحتلال الايطالي والامور بخواتمها

❀ ❀ ❀

اما جوامع مدينة طرابلس التي هي البيت القصيد من هذه العجالة فسنسردها سردا ثم نفصلها تفصيلا :

يوجد بمدينة طرابلس نحو التسعين جامعا ومسجدا وزاوية واهمها:

جامع احمد باشا القارامنلي بسوق المشير عدد٤٤ه . قد بني في القرن الثاني عشر على نظام الجوامع التركية . وزخرف بالزليج التونسي وزينت جدرانه بقصائد من نظم شاعرنا الورغي . والحقت به ـ كالعادة التركية ـ تربة القارامنليين في الصحن .

جامع القرجي من اجمل جوامع طرابلس وهو بساحة مخزن الرخام قرب زنقة الفرنسيس . تركي المعمار تونسي الكساء شبيه جدا بجامع يوسف صاحب الطابع بتونس

جامع درغوث باشا من اجمل جوامع طرابلس . وهو من ابهج جوامع العالم الاسلامي . وبه ضريح ذلك الفاتح الكبير .

جامع محمد الباشا شائب العين بسوق الترك يظهر انه بني على انقاض جامع حفصي لانه كثير من اجزاء معمارة موحدية النمط .

جامع القروقة بزنقة الفنادقة

جامع الناقة . ويقال انه الجامع الاول الذي بناه عمرو بن العاص سنة ٢٣ فهو قبل جامع القيروان الذي احدثه عقبة سنة ٥١هـ .

ـ جامع سيدى سالم بطريق سيدى سالم

ـ جامع الدروج بزنقة جامع الدروج

ـ جامع محمود بزنقة جامع محمود

ـ جامع سيدى حمودة . وهو تحفة من تحف الفن التركى البديع يوجد في الحى الاوروبى قرب شارع الشاطىء .

ـ جامع عثمان باشا وهو من ابدع جوامع طرابلس ويعتبر تحفة من تحف الفن . واقع بشارع سيدى درغوث .

جامع مولاي محمد بشارع الزاوية .

ـ جامع خليل باشا بالظهرة الكبرى

ـ جامع ميزران بالحي العصري

جامع ابن ناجي

ـ جامع السنوسية

ـ جامع بيليمان بشارع سيدى بيليمان

ـ جامع الصمعة

ـ جامع سيدى الشعاب بشارع الشاطى وسنتحدث عنها بتفصيل ان شاء الله تعالى

« تتمة تفسير آية ادع الى سبيل ربك المنشور في باب التفسير »

الحسنة ولا يخلو المجتمع الاسلامي عن متعنت اوملبس وكلاهما يلقي في طريق المصلحين شائك الشبه بقصد او بغير قصد فسبيل تقويمه هو المجادلة بالتي هي احسن فذلك ادنى لاقناعه ، والكشف عن قناعه ففي الموطا . ان عمر بن الخطاب قال في خطبة خطبها في ءاخر عمره

ايها الناس قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحه الا ان تضلوا بالناس يمينا وشمالا وضرب باحدى يديه على الاخرى رحمه الله ورضي عنه ولما قالت الخوارج لعلي لا حكم الا لله قال انهم ، كلمة حق أريد بها باطل » .

وقوله (ن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) قول فصل بين فريقي الحق والباطل وهو تعليل لمضمون الامر بالاستمرار على الدعوة اي لا يؤيسك اعراضهم من اهتدائهم فتقصر في الدعوة ظنا بقلة جدواها لان الله الذى امرك بالدعوة هو اعلم بمن ضل ومن اهتدى وما يدريك ان يكون بعض من ايست من ايمانه قد شرح الله صدره للايمان بعد ياسك منه وهذا معنى قوله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فموقع ان مجرد الاهتمام ليفيد معنى فاء التعليل لان شأن ان اذا جاءت في مثل هذا الموقع ان تفيد معنى التعليل كما حققه الشيخ عبد القاهر لان افادتها التاكيد مستغنى عنها بوجود ضمير الفصل في الجملة المفيد لقصر الصفة على الموصوف فان القصر تاكيد على تاكيد وهو قصر اضافي اي ربك هو اعلم بمن ضل لا انت وفيه تعريض بالوعيد للضالين والثواب للمهتدين ولذلك قدم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدين لانه الاهم في مقام التهديد والوعيد ولان التخلية مقدمة على التحلية .

وفي قوله (عن سبيله) اشارة الى ان الله مؤيد دينه وناصره وان باطلهم غير قار كما قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فاذا هو زاهق) وقال (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

وفيه اشارة لى وجوب غوص النظر في تمييز الحق من الباطل وتجنب الاسراع بالحكم في ذلك دون تامل عميق . والحذر من غلبة تيارات الاهواء حتى لا تنعكس الحقائق . وتسير النفوس في بنيات الطرائق . فان الحق باق على الزمان . والباطل لا يلبث ان يكذبه البرهان

هبني قلت هذا الصبح ليل ايعمى المبصرون عن الضياء اه .

ابو حيان التوحيدي

للدكتور الاستاذ الطاهر الجبري

اديب من اكابر ادباء القرن الرابع، يعد من طبقة الجاحظ من حيث الاسلوب ويمتاز عن الجاحظ بتنوع مواضيعه وبالتزامه الجد والاتزان في كل ما يكتب . اهمله المؤرخون حتى اختلف في تعيين موطنه ومولده ووفاته، واهمله المعاصرون فلم يذكروا اسمه في كتب تاريخ الادب ولم ينتخبوا له في كتب المنتخبات المدرسية،

حياته

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ويكنى بابي حيان . ولد في اوائل القرن الرابع وتوفي في اواخره . والمرجح انه فارسي الاصل .

كان ابو حيان حسن الخط فاحترف الوراقة في بغداد ايام شبابه . ثم سئم الوراقة واتصل ببعض الوزراء كابن العميد وابن عباد وابن سعدان ونسخ والف لهم مدة . غير انه لم ينل عندهم ما كان يامله من الحظوة . فغضب عليهم وهجاهم بنثر فني رائع لا مثيل له عند كتاب العربية . ثم بلغ به الياس الى ان احرق كتبه ضنا بها على من لا يعرف قدرها . ولم يسلم منها الا ما نقل قبل الاحراق .

ثقافته

جاء في معجم الادباء لياقوت ان ابا حيان كان متفننا في جميع العلوم . من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام على رأي المعتزلة .... فهو شيخ الصوفية وفيلسوف الادباء ومحقق الكلام . ومتكلم المحققين . وامام البلغاء .. وهو فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة . وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية ١)

١) معجم الادباء لياقوت ج ١٥ : ٥ ط. دار المامون

مؤلفاته المطبوعة

١) الصداقة والصديق . طبع بالاستانة سنة ١٣٠٢ هـ وبالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ قال ابوحيان في وصف هذه الرسالة :

قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة و الصديق ، ومما يتصل بالوفاق والخلاف ، والهجر والصلة ، والعتب و الرضا ، والمذق والاختلاق ، والرياء والنفاق والحيلة والخداع ، والاستقامة والالتواء »

٢) المقابسات ـ طبع بمصر سنة ١٩٢٩ م مقدما بدراسة لابي حيان بقلم حسن السندوبي وهو « اقوم مؤلفات ابي حيان ، واحفلها بمسائل الفلسفة والاجتماع وادقها تصويرا لما كانت تعج به بغداد آنذاك من بحوث في الفلسفة الآلهية والطبيعة ومن تناول كل مسألة حتى مسائل اللغة والادب بمعايير فلسفية نفسية ، ويعتبر الاسلوب الذي سلكه ابو حيان في هذا المؤلف اسلوبا جديدا في عالم التاليف اذ سجل آراء معاصريه على طريقة الجدل والحوار ، عازيا كل راي الى صاحبه (١)

٣) الامتاع والمؤانسة . ثلاث مجلدات اشرف على نشره احمد امين واحمد الزين وطبعته لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر عام ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤ . وهو مجموع مسامرات في فنون شتى حاضر بها ابو حيان الوزير ابا عبد الله العارض في سبع وثلاثين ليلة .

٤) الهوامل والشوامل لابي حيان التوحيدي ومسكويه . نشره احمد امين والسيد احمد صقر وطبعته لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥١
قال احمد امين في مقدمة هذا الكتاب :

يدل كتاب « الهوامل » على ان ابا حيان شخصية فلسفية طلعة تستخلص الاسئله من كل ما يقع امامها ، سواء كانت المسائل خلقية او اجتماعية او لغوية او اقتصادية اونفسية ... واسلوبه في اسئلته اسلوب ادبي فني رائع

---

١) ابو حيان التوحيدي سيرته وآثاره لعبد الرزاق محي الدين القاهرة ١٩٤٩ ص ٢٣٠

نماذج من : ادب ابي حيان

الشوق الاعظم

ما اشوقني والله الى ان ارى مريداً له من القراءة ورد، ومن الركوع والسجود وظيفة، ومن الصمت والذكر قسط، ومن التسبيح والتهليل ساعة ومن التفكير في الملكوت سهم، ومن الرغبة في الموعود حرص. ومن الاشفاق من الوعيد فرق. هذا والله اضعف شوق واقله، و أنزر حنين واكله، فاما الشوق الاعظم والحنين الاعم، فانما هما الى عارف قد تربع على سرير الرضا، واطمان الى ركن الثقة بالمولى، وشهد الغيب من وراء ستر الضنا، فان قال فعنه، وان سكت ففيه. وان تحرك فله، وان سكن ففيه وان اشتاق فاليه وان تهالك فعليه، له مع نفسه شان، ومع الحق شان، ومع الناس شان فاما شانه مع نفسه ففي تصفيتها من كدر يحجب من الله، واما شانه مع الحق فاستملاؤه منه كل ما يسهل الطريق الى الله عز وجل. واما شانه مع الناس فكل ما عاد بالجدوى عليهم من الرقة والرحمة والرافة واللطافة (١)

العالم الفاضل

ابو حيان . لم اقترن العجب بالعالم ؟ والعلم يوجب خلاف ذلك من التواضع والرقة وتحقير النفس، والزراية عليها بالعجز ؟

مسكويه . اما العالم المستحق لهذه السمة فليس يلحقه العجب . ولا يبلى بهذه الآفة . وكيف يبلى بها وهو يعرف سببها . وانها مرض سببه مكاذبة النفس وذلك ان حقيقة العجب هي ظن الانسان بنفسه من الفضل ما ليس فيه . وظنه هذا كذب ثم يستشعره حتى يصدق به ... وهذا من اعجب آفات النفس واكاذيبها لاجل ان الكذب فيه مركب . فقد يكذب الانسان غيره ليصدقه الغير فيموه نفسه عليه، فاما ان يموه نفسه بالكذب ثم يصدق فيه نفسه فهو موضع العجب . ولاجل هذا

---

١) الاشارات الالاهية نسخة الظاهرية ورقة ٩٣

التركيب الذي عرض في الكذب صار اشنع واقبح من الكذب البسيط المعروف. واذا كان العالم الفاضل تقترن به آفة الكذب البسيط لمعرفته بقبحه ـ لا سيما اذا استغنى عنه ـ فهو من الآفة المركبة ابعد. فلذلك قلت: ان العالم لا يعجب. فقد صارت هذه المسالة مردودة غير مقبولة. فاما ما يعرض من العجب لمن يظن انه عالم فليس من المسالة في شيء. الهوامل والشوامل ص٤٠

صديقاه

...انه يكتفي مني فيما خالف هواي باللمحة الضئيلة، واكتفي انا ايضا منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة. وربما تعاتبنا على حال تعرض على طريق الكناية عن غيرنا. كاننا نتحدث عن قوم آخرين ويكون في ذلك لنا مقنع واليه مفزع وقلما نجتمع الا ويحدثني عني باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي، ولا شدت عن صدري الى لفظي. وذلك للصفاء الذي نتساهمه، والوفاء الذي نتقاسمه، والباطن الذي نتفق عليه، والظاهر الذي نرجع اليه، والاصل الذي رسوخنا فيه، والفرع الذي تشبثنا به، والله ما يسرني بصداقته حمر النعم، ولا اجدها لحياتي ما اجد بحياتي لي. واذا كنت اعشق الحياة لاني بها احيا، كذلك اعشق كل ما وصل الحياة بالحياة، وجنى لي ثمراتها، وجلب الي روحها، وخاط بي طيبها وحلاوتها.

الصداقة والصديق ٣ ـ ٤ ط الجوائب

مصادر

١) ابو حيان التوحيدي: سيرته.. آثاره لعبد الرزاق محي الدين. القاهرة ١٩٤٩

٢) الامتاع والمؤانسة. لابي حيان التوحيدي القاهرة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤

٣) الهوامل والشوامل لابي حيان التوحيدي ومسكويه القاهرة ـ ١٩٥١

اهـ

الطبيعة

لامير الشعراء امير الامراء الشاذلي خزندار

ان عزك السيف واستعصى لك القلم فالطرف صمصامة والقلب منك فم

ان الطبيعة خرساء وناطقة فيها الجراحات والاسياف والكلم

مدادها البحر والاقلام من شجر والسفر من مدر والراقم الرمم

ما بين معجمها فينا ومهملها من الخطوط الرواسي العصم والاطم

وفي الليالي دروس والشيوخ لها الشمس والبدر والافلاك والرجم

وفي الاثير تحاليل الحياة وما تثيره الهوج او توحي به السدم

عين البصيرة ان تفتح فصاحبها فيه المرائي بما في الكون ترتسم

صوت المعاني به الاشياء بارزة فلا يعوقك في استصغائه الصمم

تسعى بك الروح دون الخطو من قدم لم ترق فيما ارتقته المهجة القدم

الجسم ظرف وما المظروف ذو صلة بالظرف والضم في الحالين منعدم

توزع الخلق في داراته قددا روحا وجسما فموصول ومنفصم

في الحلم اجهزة من عالم خفيت عنا ، هيولاه فيها الرشد والحكم

ما اليقظة المستوى فيها الجميع بما ضمته الا خيال ويك منخرم

فالذر ما صغرت والفيلة استويا وهكذا تستوي النينان والبلم

كل تمحض للافراد هيكله كل تقمص فيهن عنه ينقسم

هي الموازين للاشياء تعوزنا من دونها العجز فيما ليس ينفهم

هي المشاهد لولا العين ما انكشفت اذ بالعمى تستوي الاضواء والظلم

في كل حين لنا المسرى بانفسنا نفنى ونوجد والاطوار تلتهم

ما بالمشاعر او شكنا نكيفه لما يزل سره في الكون ينكتم

كيف ابتدانا استحال الاطلاع على تصويره وكذا كم كيف نختتم

الى متى ايها المخلوق وانت الساري في كيانك ولا تدري الى اين منحت الحواس الخمس وبها انغرس فيك الشعور وليس لك عليها من سلطان والذى تفضل بها عليك قد فطرك هكذا محصورا في الجهات الست محبوسا فيها مرغما بحكم القضاء

والقدر . عن ايجادك مكبلا في هذه الصورة من حين بروزك من الاصلاب وانفصالك من الارحام لا سادس لحواسك ولا سابع لجهاتك ولا انقطاع لسيلك

تسري ولا تدري الى ... اين المسير ولا المآل

تفنى وتوجد من اطـــوار الحقيقة والخيال

هذا الوجود مع الفناء ... ام لا وجود ولا زوال

سبوح قدوس رب الملائكة والروح هذا من فيض وحبك هذا مبلغ ارشادك لعبادك فمن وفقته اهتدى . والا فتعسا تعسا لمن اخذته العزة والويل كل الويل لمن نفخ الشيطان في عرنينة فشمخ بانفه فسقط في الهاوية غير شاعر ولا واع

سبحانك لا علم الا ما علمت سبحانك ياذا الطول لاقول لنا امام عظمتك الا حطة حطة حب من حب وكرة من كرة لا اله الا انت في ملكوتك لا اله الا انت في جبروتك لا تسال عما تفعل ونحن الذين نسأل

خزنه دار

القضية التونسية

دخلت القضية التونسية في دور جديد ووضعت على محك البحث والتمحيص ولعبت الديبلوماسية السياسية أدوارا خطيرة وكانت القضية بين المد والجزر تتلاطمها الامواج مرة وتهدأ عاصفتها اخرى وزج بها اخيرا في مضيق ضيق استعمل للخروج منه السلاح والنار والقمع والاعتقال حتى خرجت من هذا المحيط الضيق الى المحيط العالمي وكسبت انصارا لم يكن يحسون بتحرج الموقف من قبل وكانت الحوادث التي جرت في الشهرين الماضيين لها اكبر الاثر في اهميتها حتى اصبحت تعد من قضايا الدول الهامة التي تتطلب حلا سريعا لمن يريد المحافظة على السلم العالمي

فمنذ ما يقرب من شهرين وقوات الجيش المسلحة تغزو والبلاد التونسية تاركة وراءها فظع ما ارتكبته يد الانسان في عصرنا الحديث من تخريب معابد ومنازل واعتداء على الانفس والاموال والاعراض التي اجمعت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية على احترامها

وقد توالت الاجتماعات ورفعت الاصوات منكرة هذا الصنيع الممقوت الذي ليس له مبرر وان الحوادث المؤلمة التي حلت بهذا الوطن المعذب تهون امام الاعتداء على مقدسات الامة التي تعهدت الحكومة الفرنسوية باحترامها من اعتداء على بعض المساجد الى تمزيق كتاب الله المقدس الامر الذي كان له اسوء الاثر في نفوس التونسيين واننا نحتج على هذا السلوك الوخيم العواقب وتنكر هذا الصنيع الذي جرح الامة في الصميم ودفاعنا على مقدساتنا هو اعظم من دفاعنا عل الانفس والاموال فاذا تحمل الشعب التونسي ما ناله بصبر وتجلد فلا يتحمل الاعتداء على كرامته ومعتقده ومقدساته وكل اعتداء من هذا النوع يجرح المسلمين فردا فردا ويحتجون عليه صارم الاحتجاج وان آثار ذلك ماثلة الآن للعيان

تحية

للاستاذ الكبير شيخ الادباء العربي الكبادي

هذي المجلة بعد طول حجاب   برزت لنشر العلم والآداب
ولكي تعيد الى الشباب مناقبا   كانت لهم في سالف الاحقاب
ورثوا الخلال الغر عن آبائهم   متجملين بافخر الاثواب
وكذا اتباع السالفين مطية   هي لعلا من امتن الاسباب
فهم الذين بفضل ما قد خلفوا   رفعوا عن الابصار كل حجاب
فرأى الورى نورا بفضل ضيائه   يستفتحون مغلق الابواب
فتقدموا للاشتراك لتظفروا   منها بخير جواهر الالباب
فهي التي قد خصصت اعمالها   فيما ينير قرائح الطلاب
من كل فائدة يعز وجودها   في غيرها تهدى لى الاحباب
من كل من عرف الحقائق معرضا   عن كل مهزلة وكل سباب
يجنى بها ثمر المعارف يانعا   ومن الهدى والرشد صفو لباب
يا ايها الشبان دونكم الذي   يجديكم نفعا بغير حساب
فتمسكوا بعرى الشريعة والزموا   سبل الهدى في جيئة وذهاب
تجدون ما ترجون دون مماكس   وترون ما تبغون دون ارتياب

المجلة الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ ـ ٢٩

قيمة الاشتراك عن سنة الفا فرنك بخصم الربع لتلامذة المعاهد العلمية

ثمن الجزء : مائتا فرنك



تونس في

١٣٧١ - ١٩٥٢